اقترب ملكوت السماوات

تصنيف

أحمد مصطفى

إهداء

إلى أبي الذي علمني ورباني على التقوى والطاعة بفضل الله عزَّ وجلَّ. منذ نعومة أظافري، وجعل قلبي معلقًا بالمساجد منذ صغري، وتعب كثيرًا من أجلي أنا وإخوتي. أحبك يا أبي في الله كثيرًا وأهدي إليك هذا الكتاب والله أسأل أن يتقبله مني ويجعلني كلي في ميزان حسناتك.

إلى زوجي أم عبد الرحمن كنت ومازلت خير معين لي على طاعة الله عزَّ وجلَّ ضحيت بكثير من وقتك الذي هو حقك من أجل أن أتفرغ للدعوة، بل وتغربتي في سبيل ذلك، وكل شيء في سبيل الله عزَّ وجلَّ يهون. جزاكِ الله عني خيرًا ورفع الله قدرك في الدنيا والآخرة. أهدي إليك هذا الكتاب.

أحمد مصطفى

المقدّمة

الحمدُ لله رب العالمين أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللّٰهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّٰهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

الله أكبر ما أعظمها والله من آيات هي للذين آمنوا هدى وشفاء، ولو أن كل إنسان منصف حاول أن يفهمها بكل حيادية وموضوعية لوجد فيها من الحق ما يكفي لاتباعه وإقامة الحجة على مخالفيه.

ثم أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار.

ثم أما بعد:

فقد منَّ الله عزَّ وجلَّ على هذه الأمة بنعم عظيمة وآلاءٍ جليلة، أعظمها على الإطلاق نعمة الإسلام الذي هو معناه الاستسلام والطاعة المطلقة والعبودية الخالصة لله عزَّ وجلَّ والتسليم له والإيمان بكل رسل الله عزَّ وجلَّ وكتبه وملائكته والقضاء والقدر واليوم الآخر وكل ما غاب عنا وأخبرنا الله عزَّ وجلَّ به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

إذًا فنحن المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله عزَّ وجلَّ، وكذلك نؤمن بجميع الكتب التي أنزلها الله سبحانه. ولو كفرنا بأي أحدٍ من الأنبياء أو أي كتابٍ من الكتب التي أنزلها الله عزَّ وجلَّ، لخرجنا من ملة الإسلام ـ عياذًا بالله من ذلك ـ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٤). ما أعظمها من آية!. ولكن للأسف معظم أهل الكتاب اليوم لا يعلمون حقيقة الإسلام، ولا يعلمون قدر أنبياء الله عزَّ وجلَّ عندنا نحن المسلمين، ولا يعلمون أن قرءاننا كَرَّم جميع الأنبياء أعظم من أي تكريم آخر مما في أيديهم من الكتب الآن. وبرأ الله عزَّ وجلَّ مريم عليها السلام مما قاله اليهود بل كان هذا القول سببًا في أن طبع الله عزَّ وجلَّ على قلوبهم بالكفر، قال سبحانه في محكم تنزيله عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ (النِّسَاء: ١٥٥، ١٥٦).

إذًا فنحن كما نؤمن بالقرآن كذلك نؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم. ولكنا بمنتهى الحياد والموضوعية وبدون أي تعصب نؤمن ونعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الكتاب الوحيد المحفوظ دون أي تغير أو تحريف من هذه الكتب هو القرءان الكريم.

والدليل على الحيادية في ذلك وعدم التعصب أننا ابتداءًا آمنا بأصل هذه الكتب وأنها جميعًا منزلة من عند الله عزَّ وجلَّ، وفارقنا في ذلك مثلًا اليهود الذين يؤمنون بالتوراة وينكرون الإنجيل والقرءان، وكذلك النصارى الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل وينكرون القرءان ويقولون هو عمل بشر، هو تأليف محمد ﷺ. أما نحن فنقول أن كل هذه الكتب منزلة من عند الله عزَّ وجلَّ ولكن أصابها تحريف «وهذا ليس كلامي ولكنه باعتراف علماء النصارى كما سيأتي إن شاء الله تعالى» إذًا فثمة تحريف أصاب هذه الكتب إلا القرءان. وقد يقول قائل الآن: هذا هو التعصب. لماذا تدعي أن القرءان وحده دون غيره من الكتب هو الذي لم يصبه أي تحريف أو تغير إلى الآن؛ وله الحق طبعًا في هذا التساؤل. **والجواب** ولله الحمد والمنة كالآتي:

١- بالنسبة لنا نحن المسلمين فالحجة في ذلك عندنا قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحِجْر: ٩).

٢- بالنسبة لغير المسلمين فمعلوم أن النبي ﷺ كان أميًا ـ بأبي هو وأمي ـ لا يقرأ ولا يكتب وكان ينزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على النبي ﷺ بالوحي، قال

عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤). وهذه الآيات يوافقها تمامًا ما جاء في سفر التثنية إصحاح ١٨ فقرة ١٨: «**أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به**».

وسيأتي شرحها إن شاء الله تعالى في الكتاب بالتفصيل. الشاهد هنا «**واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به**». إذًا فهو لا يقرأ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. والله عزَّ وجلَّ ينزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالوحي فيبلغ الوحي للنبي ﷺ وهذا معنى: «**واجعل كلامي في فمه**»، والنبي ﷺ يبلغ أمته هذا الوحي، وهذا معنى: «**فيكلمهم بكل ما أوصيه به**».

وعندما كان ينزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالوحي على رسول الله ﷺ، كان الصحابة يجلسون حول النبي ﷺ ويكتبون ما يوحى إليه، وأحيانًا أخرى عندما كان يوحى إليه بمفرده أو في بيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، كان بأبي هو وأمي ﷺ يخرج إلى الصحابة فيلقي عليهم ما نزل عليه من الوحي وهم يكتبون ذلك ويدونونه، كانوا يكتبون على الأحجار، وعلى الجلود، وعلى عظام الحيوانات «الشياه خصوصًا»، فضلًا عن أن كثيرًا جدًا من الصحابة كان يحفظ القرءان عن ظهر قلب مثل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهم كثير.

إذًا نخلص من ذلك أن القرءان كان يكتب وهذه وسيلة لحفظه من الضياع وكان أيضًا يحفظ في الصدور وهذه وسيلة أخرى لحفظه من الضياع. وبعد وفاة النبي ﷺ، ارتد من ارتد من العرب وقامت حروب الردة وحروب مانعي الزكاة، وكثر قتل القراء (يعني حفاظ القرءان) فخشى عمر أن يذهب القرءان

بذهاب القراء، فأشار على أبي بكر بتدوين القرءان كله في صحيفة واحدة، في كتاب واحد. فتردد أبو بكر في أول الأمر ثم وافق بعد ذلك، وتم هذا الأمر بفضل الله عزَّ وجلَّ وتوفيقه على يد زيد بن ثابت ـ الصحابي الجليل ـ جعل يجمع القرءان من الرقاع وصدور الرجال والأكتاف حتى تم جمعه كله، فما كان مكتوبًا كان موافقًا تمامًا لما في الصدور. فأي خلل بعد ذلك ممكن أن يتطرق إلى القرءان، لو أنا جمعنا كل مصاحف الدنيا الآن من مختلف بقاع الأرض وقارنا بعضها ببعض لم نجد هناك أي اختلاف حتى ولو في حرف واحد فقط. فبفضل الله عزَّ وجلَّ نحن لسنا عندنا قرءان أبي بكر وقرءان عمر وقرءان عثمان ...، بل هو كتاب واحد فقط تعهد الله عزَّ وجلَّ بحفظه، بل تعدى الأمر في حفظ القرءان في الصدور إلى أن حفظه كثير من الأطفال في شتى بقاع الأمة الإسلامية ـ تجد الطفل مثلًا عنده ٧ أو ٨ سنوات ويحفظ القرءان عن ظهر قلب ـ سبحان الله صدق ربي في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧)، والأعجب من ذلك أنك تجد رجلًا يقرأ القرءان من المصحف ويخطئ مثلًا فيرده الرجل الحافظ للقرآن من حفظ صدره وليس من المصحف!

فليس هناك دليل عقلي على حفظ القرآن إلى الآن دون تحريف من أن نجمع كل المصاحف التي كتبت باللغة العربية في العالم ونطابقها ببعضها البعض، وكذلك نطابقها بمصحف الخليفة الثالث من خلفاء المسلمين عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والموجود الآن في تركيا، فنرى أنه منذ ذلك العهد حوالي ١٤٠٠ سنة إلى الآن لم يتغير حرف واحد في هذه المصاحف!.

ـ هذا بالنسبة للقرءان، أما بالنسبة للكتب السماوية الآخرى التي نؤمن أن أصلها من عند الله عزَّ وجلَّ، فنحن ننقل هنا شهادة علماء النصارى أنفسهم الذين يشهدون بتحريف هذه الكتب ـ ولكن دعونا أولًا أذكر للمسلمين بعض الآيات التي وردت في القرءان كحجة للمسلمين بتحريف الكتب السماوية التي لم يتعهد الله عزَّ وجلَّ بحفظها، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩)، وكذلك قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨). وغيرها كثير من الآيات وكذلك أحاديث النبي ﷺ، فقد سقنا بعض الآيات فقط للدلالة على التحريف وليس لحصر جميع آيات التحريف، هذا أخي القارئ الكريم بالنسبة للمسلمين الذين يؤمنون بالقرءان ويصدقون ما فيه، أما بالنسبة لغير المسلمين فتعالوا لنرى كلام بولس نفسه «مؤسس الكثير جدًا من عقائد النصارى الآن»، ماذا يقول بولس عن الكذب على الله عزَّ وجلَّ؟

أولًا: في رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٣ الفقرة السابعة يقول: «**فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أدان أنا بعد كخاطئ؟**».

فكف إذًا أستطيع أنا أن أؤمن بعقيدة يصرح صاحبها صراحةً أنه يكذب على الله ليزدد الناس تصديقهم بالله!!

ثانيًا: تقول الموسوعة البريطانية إن أول إنجيل كتب بعد ميلاد المسيح بحوالي من ٧٠ إلى ٨٠ سنة، وهذا يعني أنه كتب بعد رفع المسيح ﷺ بحوالي أربعين سنة تقريبًا. والسؤال الآن هل مَتَّى الذي كتب هذا الإنجيل بعد رفع المسيح ﷺ بنحو أربعين سنة لم يَتَطَرَّق إليه هذه المدة أي خلل أو نسيان على الإطلاق؟

النصارى يزعمون أن من يكتب الأناجيل يوحى إليه. ونحن نطالبهم بالدليل على ذلك. ثم إن كان ذلك كذلك ـ تنازلًا في الحوار ـ فكيف إذا أثبتنا أن هناك تناقضات بين الأناجيل؟ فأيَّ إنجيل حينها نصدق؟. وهذا يدل بلا شك على أحد شيئين ـ كما سنبين إن شاء الله تعالى ـ إما أن كتبة الأناجيل لا يوحى إليهم، وإنما يكتبون ما تذكروه فقط «في الأناجيل الحالية» من سيرة عيسى ﷺ أو أنهم يوحى إليهم وتَطَرَّق إلى هذا الوحي بعد كتابته الخلل والزلل والخطأ. وفي أي الحالتين يكون هناك تحريف في الكتاب المقدس عند النصارى وعمومًا ليست هذه هي قضيتنا الأساسية، وإلا فالموضوع كبير وأفردت له كتب خاصة.

ولكن لحرصي على نقل أقوال بعض علماء النصارى سأسوق لكم قولين فقط ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ وكذلك سأذكر تناقضًا واحدًا فقط للاختصار بين إنجلين في أصل نسب المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ـ يقول الأستاذ موريس نورن في دائرة المعارف البريطانية: «إن أقدم نسخة من الأناجيل الرسمية الحالية كتبت في القرن الخامس بعد المسيح، أما الزمان

الممتد بين الحواريين والقرن الخامس فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية، وفضلًا عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا، فقد حرفت هي نفسها تحريفًا ذا بال خصوصًا منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا».

ـ كذلك يقول العالم النصراني روبرت كتسلر في كتابه (حقيقة الكتاب المقدس): «ووجهة نظرنا هي أن الكتاب المقدس مليء دون شك بالنبضات الإلهية والحقائق الكبرى، ولكنه أيضًا كتاب بشري يحتوي على ما لا يُحصى من النقص بكل أشكاله».

ـ وكذلك نذكر تناقضًا واحدًا غاية في الوضوح بين إنجيل متى ولوقا في نسب المسيح ﷺ، فقد ورد في إنجيل متى إصحاح واحد فقرة ١٥، ١٦: «**وأليود وَلَدَ أليعازر. وأليعازر وَلَدَ متّان. ومتّان وَلَدَ يعقوب. ١٦ ويعقوب وَلَدَ يوسف رجل مريم التي وَلَدَ منها يسوع الذي يدعى المسيح**». هكذا جاء نسب المسيح في إنجيل متى.

أما في إنجيل لوقا الإصحاح الثالث فقرة ٢٣، ٢٤ فقد ورد ما يلي: «**ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي. ٢٤ بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينّا بن يوسف**» انظروا إلى هذا التناقض الرهيب في النسب. أيَّ الإنجيلين نصدق إذًا؟!

ـ أيها القارئ الكريم إعلم أن الغرض من هذه المقدمة إثبات أن التوراة والإنجيل وإن كان حدث بهما تغير وتحريف ـ إلا أن أصلهما من عند الله عزَّ وجلَّ، وبقى بهما إلى الآن من كلام الله عزَّ وجلَّ لا شك في ذلك ـ بدليل قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ

نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣)، ومن هذه النبضات الحقائق الإلهية التي مازالت موجودةً في التوراة والإنجيل المبشرات بمحمد ﷺ. إذًا فلا يقولن قائل كيف تحتجون علينا بما تزعمون أنه مبشرات بالنبي ﷺ عندنا نحن في كتابنا المقدس «التوراة والإنجيل» وأنتم أصلًا لا تؤمنون به؟.

نقول كلا، بل نحن نؤمن بالتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، وبالإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ ـ ولكنا لا نسلم أن الكتابين اللذين في أيدي اليهود والنصارى الآن ـ قد سلما من التحريف. ورغم هذا التحريف ستبقى البشارات بمحمد النبي ﷺ موجودة في التوراة وفي الإنجيل، لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف: ٦).

فالله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل وأن يوفقني لإتمامه على الوجه الذي يرضاه سبحانه وبحمده. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧). أما بالنسبة لغير المسلمين الذين يقرؤون هذا الكتاب، فأرجو منهم جميعًا أن يقرأوه بموضوعية وحياد تامين، ليس من قبيل أنت عدوي، أبدًا، بل من قبيل أننا جميع نتفق في اتباع الحق حيثما كان ـ اللّٰهم وفقنا للحق حيثما كان ـ ولا يكون حالهم في قراءة هذا الكب كحال القائل: ﴿ٱللَّٰهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال: ٣٢)، وإنما يكون حالهم كحال القائل: «اللّٰهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه».

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وألسنتهم وألوانهم، فكلنا لآدم وآدم من تراب.

كتبه،

أحمد مصطفى

«البشارة الأولى»

سنبدأ بإذن الله تعالى بذكر البشارات مرتبةً، فنبدأ أولًا بذكر البشارات من العهد القديم وأول بشارة بالنبي محمد ﷺ تقع في سفر التكوين إصحاح ١٢ فقرة من ١-٣:

«قال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. ٢ فأجعلك أمةً عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. ٣ وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض».

ـ «**فأجعلك أمةً عظيمة**»: المقصود بهذه الأمة أمة الذي يأتي من نسل إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وذلك لما ورد في نفس السفر «التكوين» إصحاح ١٦ فقرة ١٠-١١: **«وقال لها ملاك الرب تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. ١١ وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنًا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك».**

ـ وكذلك ما جاء في نفس السفر «التكوين» إصحاح ١٧ فقرة ١٩-٢٠: **«١٩ فقال الله بل سارة امراتك تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده. ٢٠ وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثني عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة».**

ولعل المقصود هنا من قوله عن إسحاق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **«وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده»** يعني أن يكون فرع النبوة في نسله. وفعلًا

جميع أبياء بني إسرائيل كانوا من نسل إسحاق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أما النبي الوحيد الذي جاء من نسل إسماعيل ﷺ هو محمد ﷺ، ولم يأت إلى بني إسرائيل فقط بل أتى إلى جميع الناس ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

حسب هذه الفقرات الثلاث التي نحن بصددها فإن الله عزَّ وجلَّ لم يعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن تكون أمتهُ عظيمةً من نسل إسحاق بل من نسل إسماعيل عليهما الصلاة والسلام. فقد قال عن إسحاق: **«وأقيم عهدي معه عهدًا أبديًا لنسله من بعده»**. أما عن إسماعيل فقد قال: **«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثني عشر رئيسًا يلد، وأجعله أمة كبيرة»**.

وأعتقد أن البشارة واضحةٌ جدًا، وكذلك قول الملاك لهاجر عليها السلام: «**تكثيرًا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة**». فهذا هو معنى قول الله لإبراهيم: **«فأجعلك أمةً عظيمة»**. ولم يصبح نسل إسماعيل ﷺ أمةً عظيمةً إلا ببعثة النبي محمد ﷺ، ثم دخول معظم العرب في دين الله أفواجًا، وإلا فقبل بعثته ﷺ عاش أبناء إسماعيل عليه الصلاة والصلام في قبائل متفرقين مشتتين في أنحاء جزيرة العرب. لم تجمعهم أبدًا كلمةٌ واحدة، ولم يكن لهم ذكرًا أصلًا ولا شرف «اللّٰهم إلا قريش كخدام لبيت الله الحرام والحجيج». ثم رفع الله عزَّ وجلَّ شأنهم ووحد كلمتهم بعد ذلك ببعثة سيدنا محمد ﷺ.

هذا إن فهمنا معني كلمة عظيمة على أنها كبيرة، إما إن قلنا أن كلمة عظيمة هنا تعني عظيمة الشأن والرفعة «وهو أولى»، أو نقول لا تعارض **«فأجعلك أمةً**

عظيمة» يعني كبيرة في عددها كما وعد الله عزَّ وجلَّ إبراهيم في نسل إسماعيل، وعظيمة في شأنها. والعظمة في الشأن إنما تكون بطاعة الله عزَّ وجلَّ والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه. أساس العظمة هو توحيد الرب عزَّ وجلَّ وإقراره بالعبادة. فتعالوا لنرى من الذي حقق التوحيد والإخلاص لله عزَّ وجلَّ والطاعة اليهود أم النصارى أم المسلمين، والثلاثة من نسل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

اليهود عبدوا العجل عندما ذهب موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأخذ الألواح من الله عزَّ وجلَّ، اليهود خالفوا السبت في قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، اليهود قالوا لموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما أمرهم بالقتال والدخول إلى الأرض المقدسة ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة : ٢٤)، اليهود حرفوا في التوراة تحريفًا معنويًا ولفظيًا «كما سبق بيانه» وكل هذا موجود في العهد القديم إلى الآن وهو يوافق تمامًا ما جاء به قرءاننا، وغير ذلك كثير، ثم كيف يمكن وصف اليهود بالأمة العظيمة وهم ليس عندهم دعوة إلى دينهم أصلًا، فاليهودي لا يكون يهوديًا إلا بالرحم «يعني إلا أن يولد من يهودية» فهذه الأمة ليس مآلها إلى الكثرة أبدًا، بل مآلها إلى القلة.

أما النصارى فقد تركوا عهد الله عزَّ وجلَّ، تركوا الختان الذي هو عهد الله، كما ورد في سفر التكوين إصحاح ١٧ فقرة ٩-١٠: **«وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. ١٠ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر»**. ثم ورد في نفس السفر نفس الإصحاح، فقرة ١٤: **«وأما الذكر**

الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي». هذا هو نص العهد القديم الذي يؤمن به النصارى فهم الآن جميعهم لا يختتنون وكذلك هم يأكلون الخنزير «معظمهم» وقد حرم الله عليهم ذلك كما ورد في سفر اللاويين إصحاح ١١ فقرة ٧: **«والخنزير. لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. فهو نجس لكم.٨ من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا. إنها نجسة لكم»**.

ولن أطيل النفس في هذا المقام، بل سأكتفي فقط بقول عيسى نفسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الذي ورد في إنجيل متى إصحاح ٢١ فقرات ٤٢-٤٤: **«قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. ٤٣ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه»**.

وهذه بشارة عظيمة من المبشرات بالنبي محمد ﷺ وسنتحدث عنها في وقتها بالتفصيل إن شاء الله تعالى ـ ولكن الشاهد هنا ـ هو قول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **«إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره»**.

إذن النصارى ليسوا هم الأمة العظيمة التي وعدها الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أما بالنسبة للمسلمين مع توالي شرح وبسط البشارات إن شاء الله تعالى سنعلم أنهم هم تلك الأمة العظيمة التي وعدها الله عزَّ وجلَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. ويكفي كدليل عقلي بسيط على ذلك، انتشار الإسلام في كل أنحاء الأرض بفضل الله عزَّ وجلَّ، رغم الحرب الدعائية والسياسية

والعسكرية الشديدة عليه، ورغم ما عليه الآن المسلمون من بعد عن دينهم وفقر وجهل وتخلف إلا أن الإسلام ينتشر كل يوم أكثر وأكثر ليتحقق موعود قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٣).

وقال الله عزَّ وجلَّ عن هذه الأمة المباركة ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠). والمسلمون رغم ما هم عليه من التقصير في حق دينهم إلا أنهم بفضل الله عزَّ وجلَّ إلى الآن لم يتركوا التوحيد ولم يتخلوا عنه إطلاقًا كما فعل اليهود والنصارى، لم يكثر فيهم شرب الخمر ـ وصعب جدًا أن تجد مسلمًا يأكل الخنزير، لم يغيروا ولم يبدلوا تغيرًا لفظيًا كلام الله عزَّ وجلَّ، وكما ذكرنا فقد وصفهم الله سبحانه بأنهم خير أمة أخرجت للناس فهذه الجملة **«فأجعلك أمةً عظيمة»** تنطبق تمامًا على المسلمين الذين هم أتباع محمد ﷺ دون اليهود والنصارى.

ـ نرجع إلى فقرتنا الأصلية **«فأجعلك أمةً عظيمة وأباركك وأعظم اسمك»** هذا تحقق عند المسلمين فقط، لأن اليهود يعتزون جدًا بداود تحديدًا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ودائمًا ما يعظمون اسمه، بل ويرسمون نجمته كما يدعون على علم الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ـ حرر الله أرضنا ـ فهم لا يعظمون اسم إبراهيم أبدًا كما نعظمه نحن المسلمون، أما النصارى فهم يعبدون عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ولا يعظمون اسم إبراهيم أبدًا في صلواتهم ـ أقول هو «إبراهيم» عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبيٌ عند اليهود والنصارى ـ ولكن مسألة تعظيم اسمه إنما هي عند المسلمين بفضل الله

عزَّ وجلَّ، نجد ذلك واضحًا جليًا في كل صلاة يصليها المسلمون، وهي خمس صلوات مفروضات في اليوم والليلة وحوالي عشرين صلاة نافلة أو أكثر متضمنة قيام الليل، فعلى أقل تقدير خمس مرات كل يوم المسلمون يعظمون اسم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا تتم صلاتهم إلا بذلك، يقولون في كل صلاة: «اللّٰهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللّٰهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» وهذا يعتبر تتمة البشارة **«وأعظم اسمك، وتكون بركة. ٣ وأبارك مباركيك»** سبحان الله، فنحن نبارك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في اليوم على الأقل خمس مرات. وكذلك مرتين في الصباح والمساء، ولكن هذا استحبابًا وليس وجوبًا ويفعله كذلك كثير من المسلمين، فمن أهم أذكار الصباح والمساء عند المسلمين والتي علمنا إياها النبي ﷺ «أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين» والصحابي راوي الحديث هو عبد الرحمن بن أبزي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الحاكم (٤٦٧٤)، أما قوله **«وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه»** فهذا متحقق تمامًا عندنا نحن المسلمين، فمن لم يؤمن بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو عندنا كافر خارج من الملة، مستحق لعقوبة الله عزَّ وجلَّ خالدًا مخلدًا في النار ـ والعياذ بالله ـ وكذلك من كفر بأي رسول من الرسل، إلا أن الله عزَّ وجلَّ خص إبراهيم بالذات في مقام الاتباع، قال سبحانه مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل: ١٢٣)، والخطاب للنبي ﷺ

ولأمته من بعده، كذلك قال عز من قائل في كتاب العزيز: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠). إذًا فلم يتحقق تعظيم اسم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومباركة مباركيه ولعن لاعنيه على الوجه الأمثل إلا في أمة محمد النبي ﷺ التي قالت عنها البشارة إنها أمة عظيمة.

«البشارة الثانية»

سفر التكوين إصحاح ١٧ فقرة ٢٠: **«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثني عشر رئيسًا يلد واجعله أمةً كبيرة».**

كما ذكرنا في البشارة السابقة بفضل الله عزَّ وجلَّ، النبي الوحيد الذي خرج من صلب إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو محمد ﷺ، وقبل بعثته عاش العرب متفرقين، ولم يكونوا أمةً كبيرةً أبدًا ولا أمةً عظيمة إلا ببعثته والإيمان به وأتباعه، وهذا معنى قول المولى عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، وكذلك بعثة النبي محمد ﷺ لهذه الأمة هي في الواقع إستجابة المولى سبحانه وبحمده لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٨، ١٢٩). ومعلوم أن كل أنبياء بني إسرائيل لم يكونوا من نسل إسماعيل ﷺ بل من نسل

إسحاق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إذًا فهذه البشارة **«واجعله أمةً كبيرة»** هي خاصة بإسماعيل ﷺ ولم تتحقق إلا ببعثة سيدنا محمد ﷺ.

«البشارة الثالثة»

سفر التكوين إصحاح ٢١، هذه في الحقيقة بشارة مهمة جدًا وواضحة وسنذكرها جملةً أولًا كي تتضح ثم نفصلها بعد ذلك إن شاء الله تعالى: **«فبكر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع. ١٥ ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار. ١٦ ومضت وجلست مقابله بعيدًا نحو رمية قوس. لأنها قالت لا أنظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. ١٧ فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. ١٨ قومي أحملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. ١٩ وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملات القربة ماء وسقت الغلام. ٢٠ وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. ٢١ وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجةً من أرض مصر»**.

ـ الفقرة ١٧: **«فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو»**، الفقرة طبعًا فيها حفظ من الله تعالى ورعاية لإسماعيل وأمه عليها السلام، وسمي بعد ذلك بإسماعيل ﷺ أي الله سمع والمعنى مذكور صراحةً في سفر التكوين (١٦: ١١).

أما قوله «لأني سأجعله أمة عظيمة»، فقد سبق شرح هذه العبارة أكثر من مرة ولله الحمد والمنة، وذكرها وتواترها بهذا الشكل يدل على شيئين أولًا تأكيدها وثانيًا أهميتها.

ـ فقرة ٢٠: «**وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس**» ـ سبحان الله العظيم ـ هل تعلمون أن هذه الفقرة من دلائل نبوة محمد ﷺ، فنحن نعلم أنه كان أميًا بأبي هو وأمي ﷺ، لا يقرأ ولا يكتب وما اطلع إطلاقًا على كتب الأولين، ومع ذلك فعندما مر على بعض الصحابة وهم يتناضلون كما يروي الصحابي الجليل سلمه بن الأكوع فقال النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**» (صحيح البخاري).

سبحان الله! من أعلم رسول الله ﷺ بذلك؟ من أعلمه أن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان راميًا؟ إلَّا أن يكون هذا وحيًا من عند الله عزَّ وجلَّ.

ـ ثم نقرأ فقرة ٢١ أيضًا: «**وسكن في برية فاران**»، وستأتي البشارة بهذا الاسم بالتفصيل بعد ذلك إن شاء الله تعالى وهي في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية «**جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران**» ففاران هذه هي البرية التي سكن فيها إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

«البشارة الرابعة»

سفر التثنية إصحاح ١٨ فقرة ١٨: **«أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»**.

بشارة عظيمة ومهمة وواضحة كذلك ببعثة محمد ﷺ المخاطَب أولًا هو موسى ﷺ يقول له ربنا تبارك وتعالى حسب البشارة **«أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم»** يعني من وسط بني إسماعيل، ولو كان المقصود من بني إسرائيل لقال أقيم لهم نبيًا من وسطهم أو منهم، ولكنه قال من وسط إخوتهم، وإخوة بني إسرائيل «إسرائيل هو يعقوب» وأبوه إسحاق عليهما الصلاة والصلام، فمن هو أخو إسحاق ﷺ؟ أليس إسماعيل؟ بلى. وهذه البشارة كانت في عهد موسى ﷺ الذي جاء بعد إسماعيل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بزمن. إذن ليس المقصود بهذه البشارة إسماعيل نفسه ﷺ، بل نبي آخر من نسله، ولم يأت نبي من نسل إسماعيل ﷺ إلا محمد ﷺ.

نرجع إلى البشارة مرةً أخرى: **«أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك»** عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن مثل موسى ﷺ، فإنه لم يتزوج ولم ينجب وولد من أم واحدة، خلق بدون أب، لم يهاجر بقومه، لم يقاتل، لم يأت بتشريع جديد ناسخ للشريعة الموسوية، كما سبق بيانه **«ما جئت لأنقض الناموس، ولكن جئت لأكمله»**. أتباع عيسى أثناء حياته كانوا أقل بكثير جدًا من أتباع موسى أما محمد ﷺ فإنه يشترك مع موسى ﷺ في الهجرة بقومه والقتال والزواج والإنجاب والموت والدفن وكثرة الأتباع حال حياته. وكذلك القرءان الذي أنزل على

محمد ﷺ هو كتاب شامل ناسخ لما قبله مليء بالتشريعات، وهو في ذلك مثل التوراة التي أنزلت على موسى.

إذًا فلفظة «**مثلك**» أي مثل موسى، تنطبق تمامًا على محمد ﷺ.

ـ ثم قوله: «**واجعل كلامي في فمه**» يعني فم النبي الذي سيجيء، ومعلوم أن محمدًا ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب فجعل الله عزَّ وجلَّ القرءان على فمه، وجعله يحفظه في صدره كما قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٦، ١٧)، كذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤).

«البشارة الخامسة»

سفر التثنية إصحاح ٣٣ من ١-٣: «**وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته.٢ فقال. جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم.٣ فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك**».

انتبهوا لهذه الجملة «**وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته**». تدل على أهمية وعظمة هذه البشارة، أولًا وُصفت بأنها بركة، ثانيًا قالها موسى قبل موته، وهذا دليل على أهميتها، إذ دائمًا ما يقوله الإنسان قبل موته ويوصي به مهمًا ومعروفًا ومحفورًا في الأذهان، لا ينسى.

إذن ما هي هذه البركة؟

ـ قال: **«جاء الرب من سيناء»** إشارة إلى إعطاء الله عزَّ وجلَّ موسى التوراة في سيناء، **«وأشرق لهم من سعير»** إشارة إلى إعطاء الله عزَّ وجلَّ عيسى الإنجيل. وسعير هذه منطقة تقع جنوب البحر الميت في جنوب فلسطين، سعير هذه هي أرض سبط يهوذا، السبط الذي جاء المسيح منه، كما في يوشع إصحاح ١٥: «وسعير هي أرض سبط يهوذا».

ثم تقول البشارة: **«وتلألأ من جبل فاران»**. الاسم الذي تم ذكره في البشارة قبل السابقة (سفر التكوين إصحاح ٢١ فقرة ٢١) **«وسكن في برية فاران»** أعتقد الآن ظهرت وبانت جليًا هذه البشارات التي تكمل بعضها بعضًا، فمن الذي جاء بعد موسى ومن نسل إسماعيل، الذي سكن برية فاران إلا محمد. حقيقةً هذه من أوضح البشارات وأشهرها على الإطلاق ولله الحمد والمنة، وكذلك هذه البشارة لها شاهد عندنا من القرءان في سورة التين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣)، يقسم ربنا عزَّ وجلَّ بالتين والزيتون وهما رمز لأرض فلسطين لأنها موطن التين والزيتون، خصوصًا جبل الزيتون الذي صعده عيسى، ويقسم ربنا عزَّ وجلَّ بطور سينين ـ يعني جبل الطور الذي بسيناء ـ حيث تلقى موسى التوراة من الله تعالى، وكذلك يقسم ربنا عزَّ وجلَّ بمكة ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ البلد الذي خرجت منه أعظم دعوة للتوحيد في الدنيا كلها على يد محمد ﷺ.

إذًا فهذه الآيات القرءانية الكريمة توافق تمامًا هذه البشارة: **«جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران»** وتأمل لفظة **«تلألأ»** ما أعظمها من لفظة! تتلألأ يعني ليس مجرد مجيء ولا إشراق بل تلألُأ. هل هذا

يعني أنها الرسالة الخاتمة التي تكون لجميع البشر على الإطلاق ـ يعني نورها لا يقتصر على شعب معين ـ أم أن هذا يعني أنها الرسالة الكاملة المكتملة الخالدة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

لما كان النبي محمد ﷺ آخر الأنبياء وخاتمهم وأنه لن يأتي بعده نبي، اقتضت حكمة الله عزَّ وجلَّ أن تكون شريعته أكمل الشرائع وأوسطها، سبحان الله! حتى هذا قد ذكر في الإنجيل: «**الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار راس الزاوية**» (متى: ٢١/ ٤٢). كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى، وهذا مصداقًا لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

ـ ثم الفقرة الثانية من البشارة: «**وأتى من ربوات القدس**» هذه بشارة ونبوءة عن إسراء النبي محمد ﷺ، عندما أُسري به إلى بيت المقدس «**ربوات القدس**» ثم عرج به إلى السماء. قال سبحانه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

ـ نكمل البشارة: «**وعن يمينه نار شريعة لهم**» كما سبق بيانه فإن عيسى لم يأت بتشريع جديد ولكنه جاء مكملًا للتوراة، أما محمد ﷺ فقد جاء بشريعة محكمة ناسخة لما قبلها من الشرائع ولذلك وصفت بأنها نار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨).

ـ «**فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك**».

فأحب الشعبَ يعني الله عزَّ وجلَّ أحب هذا الشعب حيث أن **«جميع قديسيه»** يعني الصحابة في يدك وهم جالسون عند قدميك **«يتقبلون من أقوالك»** هذه والله بشارة أخرى منفردة تمامًا عن سابقتها. واضحة كل الوضوح ومعنى **«جميع قديسيه في يدك»** حب الصحابة للنبي، طواعية الصحابة للنبي، تعظيم الصحابة للنبي، حرص الصحابة على أن يكونوا مع النبي. وكل هذا كان متحققًا بفضل الله عزَّ وجلَّ.

أما بالنسبة لحب الصحابة للنبي فيكفينا هذا الحديث الصحيح عن رسول الله كما يرويه أنس قال: قال النبي ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»** (رواه البخاري).

وأما طواعية الصحابة للنبي وطاعتهم له فيكفينا في ذلك قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ـ أما حرص الصحابة على ملازمة النبي فيكفينا في ذلك قول ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٦٢).

ـ **«وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك»**. هل تعلمون أنه إلى الآن من طرق وآداب طالب العلم عندنا نحن المسلمين الجلوس عند قدمي الشيخ والتلقي من أقواله؟، فكيف إذن بالتلقي من أقوال رسول الله ﷺ، وكيف بجلوس الصحابة عند رسول الله ﷺ، وكيف بتعظيم الصحابة لرسول الله

ﷺ، كان بأبي هو وأمي ﷺ، عندما يتحدث ينصت له الصحابة تمامًا كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، ورغم حبهم الشديد له إلا أن أحدهم لم يكن ليطيل النظر إلى رسول الله ﷺ تعظيمًا له.

أما عيسى فقد كان دائم الضجر من أصحابه وتلاميذه، كان يقول لهم: **«إلى متى أكون معكم. إلى متى أحتملكم»**، وأقر بأنهم جيل فاسق شرير، وقال لهم: **«هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا»**، وكان أتباعه قليلون حوالي ١٢٠ إنسان (أعمال الرسل ١: ١٥)، أما محمد ﷺ فقد كان أتباعه قبل موته ١٢٠ ألف إنسان.

«البشارة السادسة»

مزمور ٤٥: **«أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. ٣ تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك. ٤ وبجلالك اقتحم. اركب. من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون. ٦ كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. ٧ أحببت البر وأبغضت الأثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. ٨ كل ثيابك مر وعود وسليخة. من قصور العاج سرتك الأوتار. ٩ بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. ١٠ اسمعي يا بنت وانظري واميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك. ١١ فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له. ١٢ وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. ١٣ كلها مجد ابنة الملك في خدرها.**

منسوجة بذهب ملابسها. ١٤ بملابس مطرزة تحضر إلى الملك. في أثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك. ١٥ يحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. ١٦ عوض عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض. ١٧ أذكرُ اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد».

هذه بشارة عظيمة بمحمد ﷺ، وعلماء البروتستانت يدعون أنها لعيسى. وهو ادعاء باطل، ظاهر البطلان ـ كما سنوضح إن شاء الله تعالى ـ.

ونقول بفضل الله عزَّ وجلَّ: هذه البشارة تشير إلى محمد ﷺ إشارةً واضحة لعدة أسباب منها:

ـ جملة **«أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك»** تنطبق تمامًا على محمد ﷺ. معلوم أن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان من أجمل البشر على الإطلاق، بل أوتي نصف الجمال، ولكن يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أتى قبل موسى وقبل داود الذي يُنسب إليه أنه كتب هذا الوصف. إذًا هو ليس المقصود به يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذا الوصف ينسبه علماء البروتستانت إلى عيسى، وقد أخطأوا في ذلك لأنهم هم أنفسهم يدعون أن الخبر المندرج في كتاب إشعياء، الإصحاح الثالث والخمسون خاص بعيسى. والخبرين أن عيسى كما يزعمون لم يكن جميلًا أصلًا، فضلًا عن أن يكون أبرع جمالًا من بني البشر!

فالنص في إشعياء الإصحاح الثالث والخمسون فقرة من (١-٤) يقول: «**١ من صدق خبرنا ولمن استُعْلِنَتْ ذراع الرب. ٢ نبت قدَّامه كفرخٍ**

وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه. ٣ محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به».

ـ ومما يؤكد أنهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا أن هذا الوصف هو لعيسى ما جاء في الفقرات التالية (٤، ٥، ٦) من نفس الإصحاح: «**لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً. ٥ وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل أثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. ٦ كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه أثم جميعنا**».

إذن فكيف يوصف عيسى بأنه لا صورة له ولا جمال في نص، وفي نص آخر يوصف بأنه أبرع جمالًا من بني البشر؟

أما بالنسبة لجمال محمد فسأكتفي فقط بذكر أثر واحد من الصحابة في جماله وكذلك بذكر بيتين من الشعر، لشاعره ﷺ حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نبدأ بالأثر: يروي جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيت رسول الله في ليلة إضحيان (يعني البدر مكتمل فيها) وجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحلى من القمر» (حديث صحيح. أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية).

وشعر حسان بن ثابت في وصف النبي معروف ومشهور جدًا ونذكر منه هاهنا بيتين للاستشهاد فقط:

وأجمل منك لم تر قط عينٌ وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءًا من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

فهذان صحابيان جليلان قد عاصرا النبي ﷺ، وهذا هو وصفهما له، إذن فجملة «**أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك**» تتناسب جدًا مع محمد ﷺ.

وكذلك هذه الجملة خصيصًا «**انسكبت النعمة على شفتيك**». فالنبي أوتي جوامع الكلم، وهذا من أعظم نعم الله عزَّ وجلَّ، كذلك عندما استأذنه الصحابة في كتابة ما يقوله من أحاديث (يعني غير القرءان الكريم) وقالوا له إنك تتكلم في الرضى وفي الغضب فقال ﷺ: «**اكتبوا فوالله ما أقول إلا حقًا**». فإما أن يكون كلامه وحيًا من الله عزَّ وجلَّ وهذا هو القرءان، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤)، وإما أن يكون كلامه حقًا ﷺ، وفي كلتا الحالتين تنسكب النعمة على شفتيه بأبي هو وأمي ﷺ.

نستكمل البشارة: «**لذلك باركك الله إلى الأبد**».

قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز تصديقًا لهذه البشارة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وكذلك نحن كمسلمين ندعوا الله عزَّ وجلَّ في صلاتنا خمس مرات على الأقل في اليوم والليلة في الصلوات المكتوبة، وحوالي عشرين مرة أخرى في الصلوات النوافل بما في ذلك قيام الليل. أن يبارك سيدنا محمد ﷺ، فنقول: «اللّٰهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّٰهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد». وهذه الصلاة على النبي قائمة مفروضة على الأمة إلى الأبد غير منسوخة، إذًا فهذا هو معنى «**لذلك باركك**

الله إلى الأبد». والفقرة الثالثة من الإصحاح تقول: «**تَقَلَّد سيفك على فخذك أيها الجبار»**.

من أسماء محمد النبي ﷺ «الضحوك القتال» و«نبي الملاحم» وشارك ﷺ في العديد من الغزوات والمعارك، فعن زيد بن أرقم عندما سُأِل: كم غزا النبي من غزوة؟ قال: «تسع عشرة» والأثر في الصحيحين. وأمره ربه عزَّ وجلَّ بالقتال والجهاد في كثير من الآيات، أما عيسى فلم يقاتل قط، لا هو ولا الحواريون.

ـ ثم تعالى معي أخي القارئ الكريم لننظر هذه البشارة العظيمة التي كأنما هي فصلت على محمد ﷺ تفصيلًا. تقول الفقرة: «**اركب. من أجل الحق والدعة والبر**» والله هذه البشارة لا يلتفت إليها كثير ممن يتصدى للخوض في هذا المضمار المهم في إثبات بشارات الكتاب المقدس عند النصارى برسول الله ﷺ، وهي عندي لمن أهم البشارات!.

انظر كيف يجتمع القتال والجهاد مع الحق والدعة والبر. أليس هذا هو معنى اسم النبي ﷺ «الضحوك القتال؟»، أليس هذا هو إجمال رائع لما فعله النبي لعلي عندما أعطاه الراية ليفتح خيبر عندما سأله علي: على ماذا أقاتل الناس؟ فقال له النبي: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**» والحديث في الصحيحين.

بالله أليس هذا هو معنى «**اركب. من أجل الحق والدعة والبر**»؟

فقرة ٥: «**نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون**» النبل كان معروفًا عند العرب منذ عهد إسماعيل كما سبق بيانه، ولقول

النبي: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا**» (مسند أحمد). أما قوله: «**شعوب تحتك يسقطون**» فيكفي هذا القول تصديقًا له قولُ هرقل عندما سأل أبا سفيان عن النبي ثم قال بعد ما استبان له أمره: «لئن كان كما قلت، فسيبلغ ملكه موضع قدمي هاتين» وهذا قول كافر لم يسلم والحق ما شهدت به الأعداء. وقد دان معظم سكان الأرض بالإسلام في حياة النبي والخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وكذلك في عهد ملوك بني أمية فهذا كله يعتبر تصديقًا لهذه النبوءة «**شعوب تحتك يسقطون**» ويكفينا نحن المسلمين لتصديق هذه البشارة قول ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ (الصَّفّ: ٩).

«**٦ كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك**» لفظة الله والإله والرب تطلق في الكتاب المقدس عند النصارى على البشر كما في الزبور الثاني والثمانين، فقرة رقم ٦: «**أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم**».

ثم نأتي بعد ذلك الفقرة السابعة: «**أحببت البر وأبغضت الأثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك**» هذا في وصف ذلك النبي الذي نقول نحن المسلمون أنه محمدٌ ﷺ، ويقول النصارى أنه عيسى، وليس في هذه الفقرة مُرَجِّح لأحدِهما على الآخر بالنسبة لفهم النص عند النصارى وليس عندنا نحن المسلمين، ولكن الفقرة السابقة التي تحدثت عن السيف والنبل، واضحة جدًا في كون هذه البشارة خاصةً بمحمدٍ ﷺ، والفقرات الآتية تؤكد ذلك تمامًا «**بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير**» لم يتزوج عيسى، أما محمد ﷺ فقد تزوج أكثر من امرأة،

وكانت له أكثر من جارية، وفعلًا كانت بنات الملوك بين حظياته. كل من تزوج الرسول كن من أشراف قومهن، كذلك كانت تحته صفية بنت حُيَّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي بنت ملك من ملوك اليهود، وأعتقد أن الوصف الذي في الفقرة العاشرة من نفس المزمور يناسبها تمامًا «**اسمعي يا بنت وانظري واميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك. ١١ فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له**».

والله الذي لا إله إلا هو ـ ولا أحنث في قسمي إن شاء الله ـ إن هذه البشارة خاصة بأمي وأم المؤمنين صفية بنت حُيَّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وإلا فما معنى قوله «**وانسي شعبك وبيت أبيك**» أليس اليهود هم شعبها وشعب أبيها؟، أليس النبي ﷺ هو الذي حارب شعبها وشعب أبيها، وقتل شعبها وشعب أبيها، أليس هي قد تربت في بيت أبيها على بغض النبي ﷺ، وكانت عداوته للنبي ﷺ والمسلمين معلومة جدًا.

«**وانسي شعبك وبيت أبيك. ١١ فيشتهي الملك حسنك**» وقد كان لأن صفية من أجمل أمهات المؤمنين على الإطلاق، وزوجات النبي ﷺ كن يغرن منها، تقول البشارة «**فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له**» ليس عندنا في الإسلام سجود لبشر، وسبحان ربي على هذه العبارة التي يوافقها قول النبي محمد ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» (رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني). الله أكبر ألا يوافق الحديث الشريف هذه البشارة؟ إي والله، ولكن معنى السجود في العبارة معنى رمزي، يعني الطاعة، فإن كان هذا واجبًا في حق الزوج فيما لا يغضب الله عزَّ وجلَّ. فكيف إن كان الزوج هو رسول الله ﷺ؟!

ـ الفقرة ١٧: «**أذكرُ اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد**».

أما عن اسم محمد، فلا يخلو بلد في العالم من هذا الاسم، وفي البلاد الإسلامية هو أكثر الأسماء إنتشارًا، هذا بالنسبة للذين يتسمون باسمه ﷺ، أما بالنسبة لذكر اسمه ﷺ، فلا يخلو بيت من بيوت المسلمين من ذكر النبي محمد ﷺ، ولا يكاد يخلو بيت من الصلاة على محمد، وقد قال ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**» (رواه ثوبان وأخرجه مسلم). وقد بلغ فعلًا ملك أمته ﷺ مشارق الأرض ومغاربها ولا شك أن كل هذا يعتبر ذكر لاسمه ﷺ.

«**من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد**» هو اسمه أصلًا محمد، فبمجرد ذكر اسمه يحصل تحميده ﷺ واسمه باقٍ إلى الأبد، والإسلام باقٍ إلى الأبد، وتحميد النبي باقٍ إلى الدهر وإلى الأبد.

كل هذه البشارات في نبوءة واحدة، في مزمور واحد فقط، ويستحيل أن تكون خاصة بعيسى، لأنه لم يتزوج ولم يحارب ولم يرم بالنبل ولم يتخذ بنات الملوك محظيات، وإنما كل ذلك كان لمحمد، ونحن كمسلمين لا شك أننا نتعبد لله عزَّ وجلَّ بحب عيسى، كما قال النبي ﷺ: «**أنا أولى الناس بابن مريم في الأولى والآخرة، الأنبياء أخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبي**» (متفق عليه). أخوة من علات يعني من أب واحد وأمهات شتى، أمهاتهم شتى يعني شرائعهم شتى ودينهم واحد يعني التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ يعني الإسلام.

«البشارة السابعة»

المزمور الثاني والسبعون لسليمان: «**١ اللهم أعطي أحكامك للملك وبرك لابن الملك.٢ يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق.٣ تحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام بالبر.٤ يقضي لمساكين الشعب. يخلص بني البائسين ويسحق الظالم.٥ يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور.٦ ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض. ٧ يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ٨ ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.٩ أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب. ١٠ ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبا يقدمون هدية.١١ ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له. ١٢ لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. ١٣ يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء.١٤ من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه. ١٥ ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلي لأجله دائمًا. اليوم كله يباركه.١٦ تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض.١٧ يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه»**.

ـ أولًا يستحيل أن تكون هذه البشارة وهذا الوصف عن سليمان (يعني يستحيل أن يكون سليمان يتحدث عن نفسه في هذه البشارة) لأن الرب غضب على سليمان، بل وصل به الأمر إلى أن بنى هياكل للآلهة التي تعبد من دون الله

عزَّ وجلَّ لإرضاء النساء الآتي أملن قلبه ـ حسب زعم التوراة ـ (وحاشاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يفعل ذلك) ـ كما في سفر الملوك الأول إصحاح ١١: «١ وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيَّات وعمونيَّات وأدوميَّات وصيدونيّات وحثيَّات. ٢ من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. ٣ وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه. ٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. ٥ فذهب سليمان وراء عَشْتورث آلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. ٦ وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه. ٧ حينئذٍ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم. ولمولك رجس بني عمون. ٨ وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. ٩ فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين. ١٠ وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١ فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك ١٢. إلا إني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد أبنك أمزقها. ١٣ على إني لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطًا واحدًا لأبنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها».

ها أنذا قد أوردت جميع الإصحاح كله، وأنا والله لا أدري كيف يصف اليهود والنصارى نبي الله سليمان بهذه البذاءات، وفي نفس الوقت يعتبرونه نبيًا ويأخذون عنه الدين ـ هو بفضل الله عندنا من أعظم الأنبياء. عليهم جميعًا صلوات ربي وتسليماته، إلا أنه عندنا مبرأ من هذه البذاءات إذًا فيستحيل أن يكون هذا الوصف لسليمان «الوصف الذي ورد في المزمور الثاني والسبعين» طبقًا للكتاب المقدس نفسه عند النصارى.

وهذا المزمور أيضًا لا يمكن أن يكون بشارةً بعيسى. دعونا نتفق على أنه في أية بشارة من البشارات إذا ذُكر الحرب والقضاء على الأعداء والهيمنة والسيطرة واتساع رفعة المملكة، فهذه البشارة ليست بشارة بعيسى، لأنه لم يحارب إطلاقًا، لا هو ولا الحواريون بل ظل مطاردًا من اليهود طيل فترة بعثته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ـ والآن تعالوا لنرى الأوصاف التي وردت في هذه البشارة، هل هي تطابق أوصاف محمد ﷺ أم لا؟

«يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق». لم يصل العدل إلى منتهاه إلا في عهد محمد ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، خصوصًا في عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النِّسَآء: ١٠٥)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (المَائِدَة: ٤٨).

والحديث الآتي يُعتبر ترجمة حرفية لهذه البشارة. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ـ في غزوة الفتح ـ فقالوا: من يكلم فيها رسول الله؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله؟ فأتى بها رسولَ الله. فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله. فقال: «**أتشفع في حدٍ من حدود الله؟**» فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله. ثم قال: «**أما بعد. فإنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها. (أخرجه مسلم).

أليس هذا هو معنى «**يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق**».

ثم نمضي سويًا لنستكمل هذه الأوصاف. «**تحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام بالبر**».

تحيتنا نحن المسلمين «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» أليس هذا هو السلام. وقال الله عزَّ وجلَّ مخاطبًا نبيه: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال : ٦١).

«**والآكام بالبر**»، قال الله تعالى مخاطبًا إيانا نحن المسلمين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة : ٨). هذا في حق غير المسلمين فكيف إذًا يكون البر بين المسلمين بعضهم البعض!.

ـ فقرة ٥: «**يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور**». قال النبي ﷺ: فضلت على الأنبياء بست وذكر منها «**ونصرت بالرعب**» (أخرجه مسلم والترمذي)، وفي بعض طرق الحديث: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» وهذا يعني تمامًا الوصف الذي في البشارة «**يخشونك ما دامت الشمس**» ـ يعني ما بقيت الدنيا ـ «**وقدام القمر**» يعني مسيرة شهر. والله أعلم.

ـ الفقرة ٧: «**يشرق في أيامه الصِّديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر**». قوله يشرق في أيامه الصديق، تحتمل إما أن يكون المقصود هنا أبو بكر نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صديق هذه الأمة. وقد أشرق فعلًا في حياة النبي وكان أعظم رجل في الدولة الإسلامية على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ. وإما أن تكون لفظة الصديق هنا اسم جنس يعم جميع الصديقين وما كان هناك أتباع لأي نبي قط أعظم من أتباع محمد، وكثرة السلام ـ تحدثنا عنها قبل ذلك ـ ويكفي أن يعلم من يصفون الإسلام بأنه دين الإرهاب: أنه في جميع غزوات النبي ﷺ طيلة حياته لم يقتل في كل هذه الغزوات سواءًا من المسلمين أو غيرهم أكثر من ١١٠٠ إنسان على أقصى تقدير!! «**وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر**» يعني إلى نهاية العلم.

ـ الفقرة ٨: «**ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض**». من البحر إلى البحر ممكن أن يكون في حياة النبي ومعناها جميع الجزيرة العربية من البحر يعني الأحمر إلى البحر يعني الخليج العربي، كما يقول الأستاذ وديع أحمد فتحي الشماس السابق في كتابه (١٣٠ من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات). وممكن أن يكون المقصود هنا أمته من بعده فملكها ملكه ﷺ،

فيكون هنا من البحر إلى البحر يعني من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي (وهذا المعنى لا شك أوسع وأشمل)، وقد كان بفضل الله عزَّ وجلَّ والإسلام ينتشر عرضًا خصوصًا في الكرة الأرضية أكثر ما ينتشر طولًا. قوله «**ومن النهر إلى أقاصي الأرض**». ممكن أن يكون النهر هنا الفرات، وأنا أراه النيل والله أعلم لأن المقصود هاهنا الانتشار الطولي، ومعلوم أن النيل كموقع يقع جنوب غرب الفرات. فيكون إذًا إنتشار الإسلام من المحيط الهادي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن النيل جنوبًا إلى أقاصي الأرض شمالًا ومعلوم بفضل الله تعالى أن هذا السلطان لم يكن لأي نبي من الأنبياء ولا لأمة من الأمم إلا أمة محمد ﷺ.

ـ الفقرة ٩: «**أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب**». هذا كناية عن النصر المبين الذي أيد الله عزَّ وجلَّ به رسوله، ولفظة البريَّة يعني الصحراء، وهي الجزيرة العربية بأسرها، وخصوصًا موطنه ﷺ مكة. فلو أسقطنا هذه الفقرة على فتح مكة خصوصًا بعد أن أكرم الله عزَّ وجلَّ نبيه ونصره على من كذبه وطرده من بلده وأخرجه من بين قومه وعشيرته، لكان الوصف ملائمًا تمامًا لما حدث للمشركين في فتح مكة عندما سألهم النبي: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ـ (أليس هذا تمام العزة والكرامة للنبي، وتمام الاستعطاف من أهل مكة؟) إي والله ـ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

«**وأعداؤه يلحسون التراب**». هذا معنى واضح جدًا، وإلا فما استطاع أي أحد أن يكسر القوتين العظيمتين في ذلك الزمان فارس والروم إلا صحابة

رسول الله. بل ملكوا هم والتابعون من بعدهم معظم بقاع العالم آنذاك. وخضعت كل القوى المناهضة للإسلام آنذاك لهم بالإذعان ثم تتحدث الفقرات بعد ذلك عن الهدايا التي أرسلت إلى النبي من الملوك والرؤساء، وهي فعلًا كثيرة وكل الملوك حرصوا على مودة النبي خصوصًا بعد فتح مكة وانتشار الإسلام في معظم أنحاء الجزيرة.

ـ «١٣ **يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء. ١٤ من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه. ١٥ ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلي لأجله دائمًا. اليوم كله يباركه**». معظم الذين آمنوا بالنبي كانوا فقراء ومساكين وعبيد، لأن الإسلام يسوي بين جميع الناس. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣).

ولن أطيل النفس في هذه الفقرة، يكفينا هنا ذِكْرُ حديث واحد عن رسول الله فيه كل هذه المعاني وأكثر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا** ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**» (رواه مسلم).

والحديث هنا عن المسلمين، وعمومًا عندنا نحن المسلمين قتل أي نفس سواءًا كانت مسلمة أو غير مسلمة من أكبر الكبائر، قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه

العزيز: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، كتب الله ذلك على بني إسرائيل وأقره في شرعنا أيضًا.

أما جملة «**اليوم كله يباركه**» فقد وردت أكثر من مرة وسيق شرحها بأنها الصلاة الدائمة على النبي والدعاء له بالبركة، ولا أعلم فرضية الدعاء بالبركة لأي نبي من الأنبياء كل يوم في كل صلواتنا إلا عند هذه الأمة فقط التي كرمها الله عزَّ وجلَّ بفرضية الدعاء بالبركة لنبيها في كل صلواتنا. إذًا فهذا معنى «**اليوم كله يباركه**».

ـ فقرة ١٦: «**تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض**».

ما أجمل ما فسر به د. وديع أحمد فتحي ـ الشماس المصري السابق ـ هذه الفقرة في كتابه (١٣٠ من البشارات بخاتم الرسل وخاتم الرسالات)، حيث قال: كانوا حفنة قليلة العدد في رؤوس الجبال يعني في رؤوس جبال مكة المشهورة فعلًا بالجبال، وقد كانوا كذلك في أول الإسلام، فأثمروا في الدعوة جدًا، ولما هاجروا إلى المدينة المنورة زاد عددهم بسرعة كبيرة فصاروا مثل عشب الأرض.

ـ فقرة ١٧: «**يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه**».

«**يكون اسمه إلى الدهر**». كناية عن انتشار الإسلام وبقائه وهو أكثر الملل فعلًا انتشارًا. «**قدام الشمس يمتد اسمه**». ممكن أن يكون معناها والله أعلم أنه

ما من بقعة تشرق فيها الشمس على وجه الأرض إلا وفيها مسلمون يذكرون اسم النبي ﷺ.

«البشارة الثامنة»

المزمور ١٤٩: «**١ هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الاتقياء. ٢ ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم. ٣ ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنموا له. ٤ لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ٥ ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم. ٦ تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم. ٧ ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب. ٨ لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد. ٩ ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع اتقيائه. هللويا**».

«**غنوا للرب ترنيمة جديدة**» يعني لم تكن موجودة قبل ذلك، يعني قبل داود. «**تسبيحته في جماعة الاتقياء**»، وهذا أيضًا يكون بعد داود لما ذكرنا من أنها تسبيحة جديدة، إذن فالأمر يحتمل أن يكون لأي نبي من أنبياء بني إسرائيل أو لمحمد ﷺ. لنكمل البشارة.

«**ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم. ٦ تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم**»، تنويهات الله في أفواهم، ما ذكر أحدٌ الله عزَّ وجلَّ كما ذكره المسلمون، فذكر الله عزَّ وجلَّ عندنا نحن المسلمين في كل وقت وفي كل حين وفي كل مكان وعلى أي وضع، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١).

وكذلك حديث النبي كما يرويه أبو الدرداء والحديث أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه الألباني، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله عزَّ وجلَّ**».

فجملة «**ليرنموا على مضاجعهم**» تناسب تمامًا أمة محمد ﷺ، (أما الترنيمة الجديدة فممكن أن تكون هي القرءان أو التلبية خصوصًا وقت الحج، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى)، وجملة تنويهات الله في أفواهم كذلك تناسب جدًا أمة النبي للحديث السابق ذكره ـ ولم نقطع بعد بأن هذه البشارة خاصة بأمة محمد النبي ـ وإنما هي معطيات ومقدمات تتوافر وتجتمع لتعطي دلالات تقوي بعضها بعضًا ـ تعالوا الآن لهذه الجملة «**وسيف ذو حدين في يدهم**». لم يعرف بنو إسرائيل هذا السيف ذا الحدين أبدًا إنما عرفه العرب، لما يقوي جدًا هذه الدلالات التي ذكرناها، بل يؤكدها بأن هذه النبوءة خاصة بمحمد ﷺ.

«**ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب. ٨ لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد**». أكرم الله عزَّ وجلَّ نبيه أيما إكرام، فأقر عينه بفتح مكة، ودانت معظم العرب في حياة النبي بالإسلام، وفتح الصحابة من بعده فارس والروم أعظم إمبراطوريتين في ذلك الوقت وأصبح أربعة أخماس العالم آنذاك تقريبًا على دين الإسلام، والباقي يدفعون الجزية للمسلمين،

ومعلوم أن هذا لم يحدث إطلاقًا مع أي نبي من أنبياء بني إسرائيل ولا أتباعهم، ولم يحدث بالقطع مع عيسى لأن عيسى لم يحارب أصلًا إذًا فجملة **«ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب»** تتناسب تمامًا مع أمة محمد. أما جملة **«لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد»**. فهي ترجمة فعلية لما فعله المسلمون مع أعدائهم في حروبهم فقد أسروا كثيرًا جدًا من ملوك وشرفاء الشعوب المختلفة، قُتِل أبو صفية التي اتخذها النبي بعد إسلامها زوجةً له في فتح خيبر، والهرمذان من فارس وغيرهم كثير.

«ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامةٌ هذا لجميع اتقيائه». أي ليتحقق لهذه الأمة التي توحد ربها وتتبع تعاليمه وتعظيم أمره وأمر رسوله وتجاهد في سبيله حكم الله المكتوب الذي قضاه من الأزل «**كرامةٌ هذا لجميع اتقيائه**» وهو الحكم الذي يليق بربنا عزَّ وجلَّ وحكمته وعدله في أفعاله وأقواله عزَّ وجلَّ، يعز ويكرم من أطاعه وعظم أمره وأفرده بالتوحيد الخالص، ويذل من افترى عليه الكذب، وقتل أنبياؤه وأوليائه وخالف أمره، أو من ادعى له الصحابة والولد وأشرك به سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، وهذا مصداق قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٣).

«البشارة التاسعة»

كتاب إشعياء إصحاح ٢١: «**١ وحي من جهة برية البحر. كزوابع في الجنوب عاصفة يأتي من البرية من أرض مخوفة**».

تقول البشارة «**وحي من جهة برية البحر**» وهي شبه الجزيرة العربية التي تقع جنوب بيت المقدس، ووضحتها الفقرة التي بعدها «**كزوابع في الجنوب عاصفة**». وبعثة النبي كانت فعلًا زوابع عاصفة على أهل الكفر والشرك. فأقام التوحيد في معقل الشرك، وقضى على كل ما يعبد من دون الله عزَّ وجلَّ، فقد دانت معظم الجزيرة العربية في حياته بدين الحق وقضى على الشرك والظلم والطغيان وقطيعة الرحم واستعباد البشر، سبحان ربي. وكان هذا في أكثر الأماكن جاهلية وظلامًا في الأرض آنذاك.

ثم تقول الفقرة «**يأتي من البرية من أرض مخوفة**» البريَّة يعني الصحراء من أرض مخوفة يعني من مكة. فهي من أشد الأماكن حرارةً في العالم مناخها قاسٍ جدًا، وطبيعة أرضها كذلك، جبال وعرة مما أدى إلى التأثير على طباع أهلها فكانوا غلاظًا، قساةً، بهم شدة وصعوبة في الخُلق.

وسبحان الله العظيم في حكمته العالية في اختيار سكان هذه الأرض بالذات ليكونوا الصحابة الأول لرسول الله. الذين قام الدين على أكتافهم. فعندما انصهرت كل هذه الغلظة والقسوة في بوتقة الإسلام والعبودية لله عزَّ وجلَّ أخرجت للبشرية كلها جيلًا من الرجال هم أعظم والله من الجبال في تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها.

ـ نفس الإصحاح فقرة ٩: «**وهوذا ركاب من الرجال. أزواج من الفرسان. فأجاب وقال سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض**».

لم يتم سقوط بابل كمدينة وثنية، وكسر جميع تماثيل آلهتها المنحوتة إلا في عصر الإسلام في عهد أبي بكر أول خليفة للمسلمين بدأ خالد بن الوليد حروبه في العراق واستولى على معظمها ثم توج الله هذه الفتوحات بمعركة القادسية سنة ١٥هـ على يد سعد بن أبي وقاص وسقوط المدائن عاصمة الفرس. فلا استولى لا اليهود ولا النصارى على بابل، ولا كسروا الأصنام فيها، ما فعل ذلك إلا المسلمون بفضل الله عزَّ وجلَّ.

ـ نفس الإصحاح فقرة ١١، ١٢: «**وحي من جهة دومة. صرخ إلي صارخ من سعير يا حارس ما من الليل. يا حارس ما من الليل. ١٢ قال الحارس أتى صباح وأيضًا ليل. إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا**».

«**وحي من جهة دومة**». من هو دومة يا ترى؟. إنه ابن نبي الله إسماعيل إذًا فهذا هو وحيٌ من قِبَل بني إسماعيل الذين لم يكن فيهم نبي على الإطلاق إلا محمد ﷺ. دعونا نعود أولًا إلى سفر التكوين إصحاح ٢٥ الفقرة الثالثة عشر لنتعرف على أسماء أبناء نبي الله إسماعيل لأننا سنحتاج إليهم بعد ذلك.

سفر التكوين إصحاح ٢٥ فقرة ١٣-١٥: «**١٣ وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام. ١٤ ومشماع ودومة ومسا. ١٥ وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة**».

ـ هذا بالنسبة لكلمة دومة، أما بالنسبة لكلمة «**سعير**» فسعير هي الحدود الجنوبية الشرقية لأرض يهوذا، الأرض التي جاءها عيسى. فالصارخ هنا يصرخ من سعير «**يا حارس**» المقصود هاهنا بالحارس الملاك ـ كما يفسرها د. وديع أحمد الشماس السابق ـ والله تعالى أعلى وأعلم لأن المَلَك فعلًا هو حارس على وحي الله عزَّ وجلَّ. ويسأل الصارخ من سعير. «**ما من الليل**»؟ يعني كم سيبقى من الليل، كم يبقى من الضلال والظلمة والشك والشرك والحيرة. كم سيبقى من الظلم واستعباد الناس وضياع الحق. والصارخ يسأل من سعير تحديدًا المكان الذي دعى فيه المسيح تحديدًا إلى التوحيد والإسلام. ثم حرفوا بعد ذلك دينه وكلماته وعقيدته من التوحيد إلى التثليث وضاعت الحقيقة وانطمست معالم التوحيد. فكأن هذا الصارخ يتألم لكل ما حدث للإسلام «التوحيد» بعد رفع المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

«**يا حارس**» يعني يا ملك «**ما من الليل**»؟ يعني إلى متى ستكون الظلمة والشرك. «**قال الحارس أتى صباح وأيضًا ليل**» يعني قريبًا جدًا سيظهر النبي الخاتم من جهة دومة ويشرق على الأرض بالتوحيد. «**وأيضًا ليل**» تحتمل معنيين: ١- حروب الردة التي كانت بعد موت النبي. فقد ارتد كثير من العرب، ولكن خليفة رسول الله أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تصدى لهم فقتل من قتل ورجع كثير منهم إلى الإسلام بعد ذلك.

٢- أو يكون معنى هذه العبارة «**وأيضًا ليل**» يعني حتى بعد بعثة محمد ﷺ، وبعد أن يقوى الإسلام وينشر التوحيد، سيعود الناس إلى الشرك ومظاهره. وهذا المعنى أوسع وأشمل بلا شك، وهو يوافق قول النبي ﷺ في

الحديث الذي يرويه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» (أخرجه مسلم).

«**إن كنتم تطلبون**» تعني (الحقيقة والتوحيد والعدل والبر والرحمة والنور) «**فاطلبوا**» يعني (عند هذا النبي الخاتم)، «**ارجعوا، تعالوا**» تعني (ارجعوا عما أنتم فيه من الضلال وتحريف دين الله عزَّ وجلَّ، وتعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله).

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤). ثم يأتي العنوان في الكتاب المقدس عند النصارى بالخط العريض «**نبوءة عن بلاد العرب**». يعني هذا هو اعتراف واضح جدًا من كتابهم الذي يؤمنون به ومن أتى من بلاد العرب بالرسالة بعد إسماعيل إلا محمد عليهما الصلاة والسلام. نستكمل النص.

« **١٣ وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين**» والددانيين هم نسل إبراهيم من زوجته قطُورة ـ كما في سفر التكوين إصحاح ٢٥ فقرة ١، فقرة ٢. وهم كانوا يسكنون الشام ومعلوم أن النبي أرسل إلى الناس كافة العرب والعجم.

«**١٤ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه**». («**تيما**» هذا هو ابن إسماعيل التاسع كما سبق ذكره (تكوين ٢٥/١٣) وهي اسم منطقة تقع بالقرب من المدينة المنورة ولا شك أن هذه إشارة إلى هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ـ وستتضح أكثر بعد استكمال البشارة ـ).

«١٥ **فإنهم من أمام السيوف قد هربوا. من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب**». واضح جدًا أن هذا كناية عن تعذيب قريش للصحابة في مكة قبل البعثة، وفعلًا ما أصبح للمسلمين دولة قوية وشوكة ومنعة وجيش، بل وحدود لتلك الدولة إلا عندما هاجروا إلى المدينة.

«١٦ **فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار**». نترك هنا تفسير هذه الفقرة لـ د. وديع ـ حفظه الله تعالى ـ لعلمه المستفيض بالكتاب المقدس عند النصارى فسأنقل ما كتبه في كتاب (١٣٠ من المبشرات) حرفيًا. فيقول: (سنة الأجير) في التوراة هي ست سنوات (تثنية ١٢/١٥) وهي الفترة التي بين الهجرة واستقرار الغلبة للإسلام على كل العرب. وقد كان صلح الحديبية ونزول سورة الفتح في السنة السادسة للهجرة وكان النبي وصحابته يعدونه فتحًا. وبالفعل تم فتح مكة في السنة الثامنة. إنتهى كلامه.

تفسير رائع من د. وديع وأوضح فقط أن الفتح المبين فعلًا كان هو صلح الحديبية الذي أنزل الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح: ١) حتى عندما سأله الصحابة أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». وفعلًا بدأ الناس يسمعون عن الإسلام، بدأ الناس يتعرفون على الإسلام. والإسلام دين فطرة وعقل، لو عرض على الناس بدون إرهاب ولا تشويه ولا تخويف فأي إنسان عاقل يقبله. ففعلًا بعد ست سنوات من الهجرة. كانت بداية فناء مجد قيدار.

«١٧ **وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل**» (يعني تضعف جدًا القوة العسكرية لقريش ـ لأن قريش أبناء قيدار ـ بعد صلح الحديبية وانتهت بفتح

مكة)، «**لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم**» يعني هذا أمر قدري قدرة الله عزَّ وجلَّ وقضاة وهو واقع لا محالة ـ ألا وهو فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا وانتشار الإسلام. وهذه البشارة عمومًا تعتبر من أهم البشارات وأوضحها.

«البشارة العاشرة»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٤٢ كله.

حقيقةً هذه بشارة كبيرة وعظيمة، فالإصحاح كله مليء بالبشارات ولن أذكرها هاهنا إجمالاً ثم أفصل، بل أفصل ابتداءًا فقرةً فقرة، إن شاء الله تبارك وتعالى. وبعد أن أختم سأوضح لحضراتكم إن شاء الله تعالى أن البشارة لا يمكن أن تكون بعيسى بل هي بمحمد عليهما الصلاة والسلام.

إصحاح ٤٢: «**١ هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم**».

ما وُصف أحد بالعبودية لله عزَّ وجلَّ كما وُصف محمد ﷺ. قال سبحانه عن أعلى مراتب ومقامات نبيه ﷺ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

«**مختاري الذي سرت به نفسي**». الله عزَّ وجلَّ اصطفى من البشر الأنبياء، واصطفى من الأنبياء خمسة هم أولو العزم من الرسل «محمد، إبراهيم، موسى، عيسى، نوح». قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» (أخرجه

الترمذي وقال حسن صحيح). ولكن بالنسبة لغير المسلمين، فهم لا يعترفون بالترمذي ولا غيره، فما الدليل إذًا على أن المقصود هنا بلفظة «**مختاري**» هو محمد وليس موسى أو عيسى أو أي نبي آخر؟ الدليل على ذلك بقية الفقرة، الفقرة ذاتها، الفقرة الأولى من الإصحاح. نستكمل: «**مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم**». أنا أريد أن يأتي لي القارئ بأي رسول أو أي نبي بعثه الله عزَّ وجلَّ ليخرج الحق لجميع الأمم، لجميع الأمم إلا محمدًا ﷺ الذي أُرسل للناس كافة. ألم يرسل موسى إلى بني إسرائيل فقط؟، ألم يرسل كل أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل فقط، ألم يُرسَل إسماعيل إلى قومه فقط. (وهذا من باب الاستطراد في المسألة، وإلا فهذه البشارة بالقطع لا تتحدث عن إبراهيم ولا إسماعيل ولا موسى لأنهم كلهم كانوا قبل إشعياء) أما عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو الذي قال بنفسه للإثنى عشر حواريًا: «**إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا.٦ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**». فقرتان ٥، ٦ من الإصحاح العاشر إنجيل متى.

إذًا فإن المقصود بهذا الوصف «**مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم**». لاشك هو محمد الذي أُرسل للناس كافة كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ: ٢٨). تعالوا نستكمل سويًا البشارة.

ـ «**٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته**».

تعالوا سويًا لنسمع هذا الأثر الذي يرويه لنا عبد الله بن عمرو بن العاص ـ ومعلوم أنه كان يؤخذ من أهل الكتاب ـ عندما لقبه عطاء بن يسار وسأله أن

يخبره عن صفة رسول الله في التوراة. فقال له عبد الله بن عمرو: «أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرءان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الأحزاب : ٤٥)، وحرزًا للأمين أنت عبدي ورسولي. اسمك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به قلوبًا غلفًا وآذانًا صمًا وأعينًا عميًا. قال عطاء ثم لقيت كعبًا ـ كعب هو كعب الأحبار، أسلم في عهد عمر وكان من أهل الكتاب، وكان يقرأ التوراة ويعرفها جيدًا ـ فسألته عن ذلك فما اختلف حرفًا.

وهذا الأثر في صحيح البخاري نورده بألفاظه كما في الصحيح «عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص. قلت أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرءان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الأحزاب : ٤٥)، وحرزًا للأمين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا» (رواه البخاري). ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق. أليس هذا هو نفس المعنى «**لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته**»؟

ـ «**٣ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق**». يعني لا ييأس أبدًا مهما كانت المعوقات ولا يكل ولا يمل عن الدعوة لله عزَّ وجلَّ، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (المدثر : ١-٧).

- «٤ **لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته**». هل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كَلَّ ولا انكسر في وضع شريعته على الأرض وِفْق كتب النصارى؟ ألم يصلب المسيح على زعمهم؟ أو كان للمسيح شريعة مستقلة أم أنه جاء مكملًا لشريعة موسى كما قال هو بنفسه ذلك؟!

هل انتظرت الجزائر شريعة عيسى أم أنه أُرسل إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، كما قال هو نفسه ذلك.

- «٦ **أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك واحفظك واجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم. ٧ لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة**».

«**فأمسك بيدك واحفظك**» أليس هذه الجملة تصديقًا لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (المَائِدَة : ٦٧)، أليست هذه الفقرة ما هي إلا تصديق قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (الضُّحَىٰ : ١-٥)، أليس هذا هو معنى قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ (الشَّرۡح : ١-٤).

نستكمل الفقرة: «**واجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم**» أليس هذا معنى قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (الأَحۡزَاب : ٤٥، ٤٦).

ـ «٧ لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة».

«**لتفتح عيون العمي**» هو نفس الكلام الذي جاء على لسان عبد الله بن عمرو ووافقه فيه كعب الأحبار من وصف محمد في التوراة «يفتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفا» (رواه البخاري).

جملة: «**لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة**» هي رمز واضح جدًا لما قاله ربعى ابن عامر عن معنى الإسلام عندما سأله رستم قائد الفرس قائلًا: ما الذي جاء بكم إلى بلادنا؟ فرد عليه البدوي الأمي البسيط ربعى بن عامر بكلمات خالدة توافق تمامًا هذه الفقرة من الكتاب المقدس عند النصارى. قال له: «نحن قوم ابتعثنا الله تعالى لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ـ أليس هذا هو نفس المعنى «**لتخرج من الحبس المأسورين**»؟ إي والله إنه لهو نفس المعنى ـ نستكمل عبارة ربعى: ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة» من جور الأديان إلى عدل الإسلام يعني من بيت السجن الجالسين في الظلمة.

ـ «٨أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات».

وأنا أتساءل من أتى بالتوحيد المحض الخالص مثلما أتت به أمة محمد؟ تقول الفقرة «**ولا تسبيحي للمنحوتات**». أليس الصليب من المنحوتات، أليست الصور والتماثيل والأيقونات من المنحوتات؟. والله نعم، وإني والله لا أعلم لماذا هذا الكبر والعناد من الذين لا يقبلون الإسلام دينًا؟ كل هذه البشارات غاية في الوضوح، والله إنا نحب عيسى ونؤمن به تمام الإيمان. بل

أنتم الذي تزعمون محبته واتباعه. أنتم الذين تخالفون أمره. أنتم الذين نسيتم تعاليمه، بشر عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام ـ كما سيأتي إن شاء الله ذكره طبقًا للأناجيل التي بين أيدينا اليوم ـ فلماذا لم تؤمنوا به، ولماذا ألَّهْتم عيسى ولماذا صورتموه وصنعتوا له ولغيره صورًا وتماثيل وجعلتم تعبدونها تطلبون منهم جلب النفع ودفع الضر ولا يقدر على ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ، لا محمد ولا عيسى ولا موسى ولا جبريل ولا ميكال. محمد نفسه أمره ربه في كتابه العزيز بهذا القول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الزمر: ١٣).

نؤمن بالمسيح وبمحمد وبجميع الأنبياء ولا نعبد إلا إلاهًا واحدًا، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون. مؤمن بالمسيح، نحب المسيح، لماذا أنتم لا تستمعون لقول الحق والعقل وتؤمنون بما جاء في كتبكم أنتم من المبشرات بمحمد ﷺ.

الفقرة العاشرة (مهمة): «**١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها**».

أغنية جديدة يعني غير التي كانت قبل ذلك. وترددت هذه العبارة كثيرًا في العهد القديم. ويفهم منها:

١ - إما أن تكون بمعنى شريعة جديدة وهذا أشمل المعاني وأوسعها.

٢- وإما أن تكون بمعنى معناها تلاوة القرءان المجيد، لقول النبي في الحديث الذي يرويه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرءان**» (أخرجه البخاري). ومعلوم أن المسلمين يقرأون القرءان ويتغنون به ليل نهار، بل وغير المسلمين منهم كثير من يحب سماع القرءان بترتيله.

٣- أو يكون المقصود هنا تحديدًا التلبية التي تكون في وقت الحج تحديدًا، وذلك لعدة قرائن سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

و«**تسبيحه من أقصى الأرض**». ما المكان الذي يؤتى له من أقصى الأرض من الدنيا للتسبيح؟ ما المكان الذي يأتيه كل عام من كل حدب وحوبًا المسجد الأقصى أم الكعبة؟ كنيسة القيامة أم الكعبة؟. وحتى إن قلتم كنيسة القيامة. هل في كنيسة القيامة يغنون للرب أغنية جديدة؟ حتى وإن كانوا يغنون للرب أغنية جديدة ـ من باب التنازل في الحوار وليس من باب الاعتراف والإقرار ـ هل هذه هي الديار التي سكنها قيدار؟ الله أكبر. كم هي واضحة هذه البشارة! كم هي جلية! كم هي ناطقةٌ بالحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!.

تعالوا نستكملها سويًا: « **١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ١٢ ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر**».

«**الديار التي سكنها قيدار**». من هو قيدار؟ هو الابن الثالث من أبناء إسماعيل كما ذكرنا قبل ذلك (تكوين ٢٥/١٣). النص يقول: «**لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار**» البرية يعني الصحراء حيث عاش إسماعيل وحيث الديار التي سكنها قيدار يعني شبه جزيرة العرب التي لم يخرج منها نبي من بعد إسماعيل إلا محمد.

ثم دعونا أيضًا نتسائل. هل حدث التسبيح لله تعالى ملء البر والبحر والجبال مثلما حدث بعد بعثة محمد وإلى يومنا هذا؟

هل رأيتم تسبيحًا وتهليلًا وتكبيرًا لله عزَّ وجلَّ عند أي أمة من الأمم كما رأيتموه عند المسلمين؟ هل رأيتم يومًا يعج فيه الحجيج بالتلبية كما يعجون بالتلبية يوم عرفة؟!

أليس هذا هو معنى قول المولى عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز آمرًا خليله إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : ٢٧)، أليس قول النبي ﷺ: «**أفضل الحج العج والثج**» (حسنه ابن حجر العسقلاني) والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة دماء الأضاحي. «**لترفع البرية ومدنها صوتها**» يعني الحج أليس كذلك؟!

«**لترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال**». عن أي جبال يتحدث النص عن الجبال التي في البرية، في الديار التي سكنها قيدار، يعني عن مكة التي امتازت جدًا بأنها منطقة جبلية. وبها جبل أبي قبيس وجبل قعيقعان، وجبل ثور، وجبل حراء، وجبل ثبير.

«**١٣ الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه**».

واضح جدًا أن هذه البشارة ليست لعيسى لأنه لم يحارب أساسًا.

«**١٦ وأسير العمي في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أمشيهم. اجعل الظلمة أمامهم نورًا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور افعلها ولا أتركهم**».

أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يكونوا أبدًا عميًا، لأنهم أصحاب كتاب، وقد جاءهم كثير من الأنبياء. أما العرب فهم في تلك الفترة كانوا العمى

بحق، وكانت فيهم الجاهلية بحق فجعل الله عزَّ وجلَّ الظلمة أمامهم نورًا، قال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

«١٧ قد ارتدوا إلى الوراء. يخزى خزيًا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتن آلهتنا».

لم تكن عبادة الأصنام أبدًا منتشرة عند اليهود والنصارى، بل إن موسى لما ذهب لتلقي الألواح من الله عزَّ وجلَّ وترك قومه مع هارون، وعبد قومه العجل وفعلوا ما فعلوا. عندما عاد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ووجد ذلك ألقى الألواح ونسف العجل في اليم، أما العرب فكانت الوثنية وعبادة الأصنام منتشرة جدًا عندهم. هم فعلًا الذين كانوا يقولون للمسبوكات أنتن آلهتنا. فيكون المقصود بهذه الفقرة ـ والله أعلم ـ إما العرب قبل بعثة محمد. أو من ارتد من العرب بعد موت محمد وعاد إلى عبادة الأوثان.

«البشارة الحادية عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٥٢.

«١ استيقظي استيقظي ألبسي عزك يا صهيون ألبسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس».

هل بعد عيسى لم يدخل أورشليم أغلف «يعني غير مختون» ولا نجس؟ اعلم هداني الله وإياك أن الختان كان مفروضًا على اليهود والنصارى على حد سواء ـ كما سبق ـ بل إن الختان هو العهد الذي جعله الله عزَّ وجلَّ لإبراهيم

(تكوين ١٧/١٠): «**١٠ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر**».

ـ نفس الإصحاح فقرة ١٤: «**١٤ وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي**».

هذا هو العهد الذي لم يحفظه النصارى إلى اليوم. بل إن عيسى نفسه خُتِن كما في لوقا الإصحاح الثاني، فقرة ٢١: «**ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن**».

عزيزي القارئ يسوع ليس إلاهًا. وإلا أخبروني كيف يُختن الإله. وهل هناك قطعة لحم زائدة عند الإله لتقطع؟!، وكيف يُسمَّى الإله وهل الإله يفتقر للتسمية لكي يسميه خَلْقُه؟!

أم أنه في ذلك الوقت كان ناسوتًا فقط ثم حل فيه اللاهوت؟ أنا والله لا أسخر، ولكن هل من المعقول أن يكون الإله ناسوتًا ثم يحل فيه اللاهوت فيصبح إله؟ أليس هذا عجزًا؟ أنا لا أضع إطلاقًا من قدر عيسى. أبدًا. بل أنزه الله عزَّ وجلَّ عن اتخاذ الصاحبة والولد.

على أي حال عيسى نفسه خُتِن. فمن الذي بدل دينه ووضع الختان عن أتباعه؟

والآن النصارى لا يختتنون، أما عندما تلبس أورشليم ـ المدينة المقدسة ـ ثياب جمالها، فإنما هي تلبسه لأنه لا يعود يدخلها فيما بعد أغلف ولا نجس. والنجاسة تفسر بالشرك، تفسر بعدم التوحيد، ولكن هذه نجاسة معنوية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (التوبة: ٢٨).

أو النجاسة الحسية وهي تتمثل في الخنزير ـ لاشك في ذلك ـ وذلك طبقًا لنصوصهم في العهد القديم (اللاويين ١١/٧): «٧ **والخنزير. لأنه يشق ظلفًا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. فهو نجس لكم**».

أعتقد أن النص واضح جدًا، وبفضل الله عزَّ وجلَّ هناك من النصارى إلى الآن من يحرم الخنزير.

فالذين دخلوا أورشليم بعد هذه النبوءة ولم يكونوا غرلًا ولا أنجاسًا «موحدون ولا يأكلون الخنزير» هم المسلمون.

عزيزي القارئ أعوذ بالله عزَّ وجلَّ من أن يزين لك الشيطان فكرًا معينًا ولا يجعلك تتبع الحقيقة أو تفكر بموضوعية. فربما تكون أنت تبحث عن هذه الحقيقة بداخلك أيامًا وشهورًا وسنين، ولكنك لا تجدها لأنك تفتقد الحيادية. والإذعان للحق إن ظهر لك. فلو أن رجلًا قال لي أنت مخطئ في كذا وكذا وكان محقًا ومصيبًا في رأيه لقلت له جزاك الله خيرًا لأنك وجهتني إلى الصواب. فليكن حالنا نحن هكذا أيضًا هاهنا.

«**ألبسي ثياب جمالك يا أورشليم**». الله أكبر! إنها والله لعبارة جميلة تعبر عن الاستعداد لمرحلة جديدة من التوحيد والعبادة في هذه المدينة الخالدة، تُرى أي مرحلة ستكون في تاريخ هذه المدينة العريقة؟ متى لبست أورشليم ثيابها وازينت ولم يعد يدخلها أغلف ولا نجس؟

لحظة تاريخية لا تنسى على الإطلاق تلك الي كان بطلها عمر بن الخطاب عندما أتى خصيصًا من المدينة المنورة لفتح بيت المقدس، أعز الله بيت المقدس بأن جاء أمير المؤمنين بنفسه ليتسلمها ويتسلم مفاتحها من أيدي النصارى

الذين طلبوا منه أن يأتي هو بنفسه ليتسلم مفاتيح بيت المقدس. الله أكبر والله إنه لفتح إسلامي غاية في العظمة. ما أريقت دماء في المدينة، ما اضطهد المسلمون النصارى في المدينة، بل عاد اليهود إلى بيت المقدس بل فتح المسلمين له، لما عرفوه من عدلهم، بعد أن ذاقوا الأمرين من اضطهاد النصارى لهم. وصل عمر إلى باب دمشق، أتى أسوار القدس وهو ماشي على رجليه يقود الناقة التي كان يتناوب عليها هو وخادمه، ماشيًا يقود الناقة وخادمه راكب، وحشود الروم من مدنيين وعسكريين متجمهرين عند الأسوار يسجلون هذه اللقطة التاريخية، ولبست فعلًا في تلك اللحظة أورشليم ثياب جمالها. استعد البطاركة لهذه اللحظة وأخبروا عمر أنهم يجدون وصفه في كتبهم داخلًا القدس وهو ماشي وخادمه راكب ورجلاه ممرغتان في الوحل ـ وقد كان ـ وثوبه مرقع سبع عشرة رقعه الله أكبر. أي عدل هذا؟! أي قائد عسكري يفتح المدينة التي بها المسجد الذي أسري برسل الله إليه، وهي عندنا نحن المسلمين ذات أهمية خاصة وبالغة. يأتيها هذا القائد العظيم ماشيًا وخادمه راكبًا. يأتيها ورجلاه ممرغتان بالوحل، يأتيها وثوبه مرقع. هل هذا ممكن أن يُتَصور. دخلت القدس مرحلةً جديدةً بفتح المسلمين لها. تزينت بالتوحيد، تزينت بالعدل، تزينت بالحضارة الإسلامية العظيمة، تزينت بالعلم ـ نعم والله ـ «**ألبسي ثياب جمالك يا أورشليم، المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس**».

ـ نفس الإصحاح الفقرة السابعة:

«**٧ ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك**».

الجبال هي جبال مكة، أما المسيح فقد ولد في بيت لحم وكانت بعثته بالناصرة، وهذه البشارة ليست له، لأنه كما قلنا دخل بعده أورشليم أغلاف وليس أغلف واحد. كذلك قوله هاهنا المخبر بالسلام، أليست تحيتنا نحن المسلمين هي السلام، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ عن عبادة المؤمنين: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢٧). ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤)، ألم يقل النبي ﷺ: «**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**» (سنن أبي داود).

أليس هذا هو الإخبار بالسلام يا قوم؟!، أما المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد قال على وِفق الفقرة الرابعة والثلاثين من الإصحاح العاشر من إنجيل متى: «**٣٤ لا تظنوا إني جئت لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. ٣٥ فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته**».

المسيح يقول ما جئت لألقي سلامًا على الأرض ويكرر العبارة ويؤكدها ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. ومحمد يخبر بالسلام ويأمر بالسلام ويخبرنا أن الجنة هي دار السلام، فعبارة المخبر بالسلام هاهنا خاصةٌ بمن؟

القائل لصهيون قد ملك إلهك. لاشك أن الله هو إله صهيون وإله مكة وإله القدس وإله المشرق والمغرب، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه سبحانه وبحمده.

«البشارة الثانية عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٥٤.

«١ ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب».

«**أيتها العاقر التي لم تلد**» يعني البلدة التي لم يأت منها نبي قبل ذلك منذ آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «اللّٰهم إلا إسماعيل وكان هذا قبل بعثة محمد بآلاف السنين ولكنه أيضًا لم يكن من مكة أي لم يولد بها».

يقول النص: «**لأن بني المستوحشة**» يعني أبناء هاجر عليها السلام، وكان إبراهيم بعيدًا عنها مع سارة. أليست هذه وحشة؟ ألم يوصف إسماعيل نفسه بأنه إنسان وحشي. (سفر التكوين ١٦/١١-١٢): «**١١ وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين أبنًا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. ١٢ وإنه يكون إنسانًا وحشيًا**».

والنص الذي بين أيدينا يقول «**لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل**» بنو المستوحشة يعني أولاد هاجر، بنو ذات البعل يعني أولاد سارة، لأن إبراهيم بعل سارة كان معها دائمًا وترك هاجر في الصحراء مع إسماعيل ـ وفعلًا ـ بالطبع أمة محمد النبي الذي هو من نسل إسماعيل أكبر وأعظم بكثير من الموحدين وأتباع الرسل من بني إسرائيل، لأن اليهود عند بعثة عيسى كفروا به ورَمَوْا مريم أمه بالزنا ـ وحاشاها عليها السلام ـ والنصارى كفروا بمحمد بعد بعثته، وكذلك كفروا بالتوحيد وجعلوا مكانه التثليث. فلا شك أن الموحدين من أمة محمد أعظم وأكبر بكثير من الموحدين من أمة بني إسرائيل،

وبفضل الله عزَّ وجلَّ يزداد الموحدين من أمة محمد يومًا بعد يوم. كما أخبر النبي في الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله مضيف ظهره إلى قبة من أدم يمان. إذ قال لأصحابه: «**أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قالوا: بلى، قال: «**أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قالوا: بلى، قال: «**فوالذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**» (البخاري ومسلم).

«**٢ أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكي. أطيلي أطنابك وشددي أوتادك. ٣ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أممًا ويعمر مدنًا خربة**».

حدث بالفعل إنتشار عظيم جدًا للإسلام شرقًا وغربًا تحديدًا أكثر منه شمالًا وجنوبًا وهذا تحقيقٌ لهذه البشارة بلاشك «**لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار**» يعني شرقًا وغربًا، حتى نحن دائمًا ما نقول أمتنا من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، وما قلنا مثلًا من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي.

تقول الفقرة: «**ويرث نسلك أممًا**» فعلًا ورث المسلمون الذين هم نسل هاجر عليها السلام ملك كسرى وقيصر وأممًا أخرى كثيرة (العراق والشام ومصر). يقول النص: «**ويعمر مدنًا خربة**» في كل بلد فتحه المسلمون شيدوا وبنوا مدنًا وعواصم جديدة. وبفضل الله عزَّ وجلَّ حتى الآن تقف العمارة الإسلامية في شتى بقاع الأرض (الشام، العراق، مصر، إفريقيا، الأندلس)، شاهدًا على عظمة تلك الحضارة الخالدة، الحضارة الوحيدة على مر التاريخ التي شُيدت في النفوس والأرواح قبل أن تُشيد في المباني.

«٧ لُحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك.٨ بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب».

«**لُحيظة تركتك**». هي اللحظة التي أشرف فيها إسماعيل على الموت. «**بإحسان أبدي أرحمك**» هذا يكون ببعثة محمد إلى الناس كافة وهو خاتم الرسل إلى يوم الدين ـ وهذا معنى الإحسان الأبدي ـ كذلك بجعل بيت الله الحرام القبلة التي يتجه إليها المسلمون الموحدون من كل حدب وصوب من شتى بقاع الأرض وهذا البيت يقع بمكة البلد التي عاشت فيها هاجر. كذلك بجعل هذا البلد آمنًا. وتحريمه وتحريم القتال فيه والصيد فيه، بل والإيذاء مطلقًا فيه حرمته عظيمة إلى يوم الدين. أليس كل ذلك إحسان أبدي؟

«١١ أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هانذا أبني بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك.١٢ واجعل شرفك ياقوتًا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارةً كريمةً».

هذه كله في وصف الكعبة بيت الله الحرام. أكثر بناء على وجه الأرض يلقى تشريفًا وعنايةً واهتمامًا من جميع المسلمين، ولا يمكن أن يكون هذا وصفًا لبيت المقدس أو المسجد الأقصى ـ مع اعتزازنا الكامل به ـ إلا أنه وصف للكعبة المشرفة التي تقع بمكة، والدليل على ذلك الفقرة الآتية:

«**١٣ وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرًا**». مدينة القدس كانت ومازالت دائمًا في حروب وصراعات، بعكس مكة المكرمة التي جعلها الله عزَّ وجلَّ حرمًا آمنًا. إذًا فكلمة سلام نبيك كثيرًا تنطبق على مكة المكرمة وليس بيت المقدس.

«١٤ بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ١٥ ها أنهم يجتمعون اجتماعًا ليس من عندي. من اجتمع عليك فإليك يسقط». هل بيت المقدس لم يدن منه أحد؟

ألم يحدث خراب تام لأورشليم بعد إشعياء مباشرةً؟!، ألم يحدث سبي بابل لليهود بعد إشعياء مباشرةً؟ ألم يحتل الإغريق ثم الرومان بعدهم بيت المقدس؟ فكيف يبشرهم إشعياء عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالأمن وعدم الخوف ثم يحدث السبي البابلي العظيم لهم بعد موته مباشرةً؟!، أيُعقل هذا!، ثم تدبر عزيزي القارئ هذه الجملة «**من اجتمع عليك فإليك يسقط**» هل هذا في حق مكة أم أورشليم؟ هل من اجتمع على بيت المقدس سقط فعلًا؟ أم أنه خرَّبه؟ أما من اجتمع على الكعبة ـ حتى عندما كانت تحت سيطرة المشركين ـ أخزاه الله عزَّ وجلَّ، مثل أبرهة الأشرم. من اجتمع على الكعبة فإنه يسقط فعلًا. وإلى الآن هي محفوظة بحفظ الله عزَّ وجلَّ لها.

«البشارة الثالثة عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٥٦.

«١ هكذا قال الرب. احفظوا الحق وأجروا العدل. لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان بري. ٢ طوبى للإنسان الذي يعمل هذا ولابن الإنسان الذي يتمسك به الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر. ٣ فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلاً إفرازًا أفرزني الرب من شعبه. ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة. ٤ لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون

بعهدي. ٥ إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصبًا واسمًا أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسمًا أبديًا لا ينقطع».

أيضًا هذا الجزء من البشارة في منتهى الوضوح، فالفقرة الثالثة من الإصحاح تتكلم عن ابن الغريب الذي اقترن بالرب والغريب هو إسماعيل الذي سكن هو وأمه هاجر بمكة ولم يكن من أهلها، وابن الغريب هو محمد الذي اقترن بالرب، يعني لا يقال لا إله إلا الله في الشهادة في الغالب إلا ويأتي معها محمد رسول الله. وبدون الإقرار والإذعان والاعتراف بأن محمدًا رسول الله لا يُعتبر الإنسان مسلمًا، لذلك في قصة إسلام أبي سفيان عندما قال له رسول الله: «**ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا اللّٰه؟**» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئًا بعد، قال رسول الله: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول اللّٰه؟**» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك. أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا. فقال له العباس عم النبي: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

يعني ما أعتُبر إسلام أبي سفيان إلا بعد شهادة أن محمدًا رسول الله، كذلك عزيزي القارئ، المسلمون يرددون في أذانهم كل يوم خمس مرات «أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله».

نعود إلى الفقرة الثالثة: «**فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلًا إفرازًا أفرزني الرب من شعبه**».

«**إفرازًا أفرزني الرب من شعبه**» يعني اختيارًا اختارني الرب من شعبه، اصطفاءًا اصطفاني الرب من شعبه. وهذا هو معنى قول النبي في الحديث الذي يرويه واثلة بن الأسقع أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**» (أخرجه مسلم).

أليس هذا «**إفرازًا أفرزني الرب من شعبه**»؟.

ثم تمضي الفقرة بعد ذلك في وصف الذين يحفظون سُبوت الله «جمع سبت» ويختارون ما يره ويحفظون عهده. وكما ذكرنا قبل ذلك فإن السبت هو إشارة إلى الشريعة التي أنزلها الله على موسى، أما قوله «**يتمسكون بعهدي**» فهو كناية عن الختان كما سبق بيانه ولله الحمد والمنة. وجملة «**ويختارون ما يسرني**» يعني يقدمون دائمًا أوامر الرب على أهوائهم وشهواتهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

«**٥ إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصبًا واسمًا أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسمًا أبديًا لا ينقطع**».

نعم والله أعطانا الله عزَّ وجلَّ أفضل اسم ممكن أن يعطى لأي أمة، قال سبحانه: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨). هو الذي سمانا المسلمين سبحانه وتعالى والعجيب أن جميع ملل الأرض الآن تسمينا المسلمين ولا يتفكرون في هذا الاسم، مع أن الإسلام معناه التسليم المطلق والتفويض التام لله عزَّ وجلَّ، والمعنى بالطبع لا يدل إطلاقًا على التحيز لجنس معين أو لون

معين إطلاقًا. بل هو شيء يُمتدح به أي إنسان، فلماذا غير المسلمين يقرون بصفة المدح ـ حتى وإن كان على سبيل التسمية ـ ولا يتدبرون معناه؟ سبحان الله العظيم!، «**أعطيهم اسمًا أبديًا لا ينقطع**».

هو اسم أبدي فعلًا ومعنى أبدي أن هذه الرسالة هي الرسالة الخاتمة الباقية إلى الأبد، ومعنى لا ينقطع والله أعلم أن هذه الأمة لا تستأصل أبدًا من جحورها بل يصيبها بعض فترات الوهن والضعف ولكن لا يقدر أحد بفضل الله عزَّ وجلَّ على هدمها تمامًا. قال عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٢، ٣٣).

«**٧ آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**».

«**لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**»، لا شك أن هذه العبارة المقصود بها الكعبة ـ بيت الله الحرام ـ لأن عيسى لم يرسل لكل الشعوب، وما كان بيت المقدس أبدًا في يوم من الأيام بيت صلاة لكل الشعوب إلا بعد أن فتحه المسلمون، سمحوا بحرية العبادة للنصارى، وعاد اليهود إلى بيت المقدس بعد الفتح الإسلامي، وقد تركوه قبل ذلك بسبب اضطهاد النصارى لهم. أما عيسى وما قبله من الأنبياء فلم تكن دعوتهم عالمية، لم يرسلوا إلا إلى قومهم فقط، وهذا ليس كلامي، بل هو ما جاء على لسان عيسى نفسه في إنجيل متى الإصحاح العاشر ـ الفقرة الخامسة:

«٥ هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً. إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا.٦ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

إذًا فالمقصود بالطبع هنا نبي أرسل لكل الشعب، كذلك في أول الفقرة: «**آتي بهم إلى جبل قدسي** (عرفات) **وأفرحهم في بيت صلاتي**»، وأي فرحة أعظم من أن تُغفر ذنوب المرء جميعًا في يوم واحد، كما قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» (أخرجه البخاري ومسلم).

فالعبارة «**آتي بهم إلى جبل قدسي**»، معناها أن الله عزَّ وجلَّ حبب جدًا الحج والعمرة للناس. جبل قلوب المؤمنين من عباده على محبة البيت الحرام قال عزَّ وجلَّ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ (المائدة : ٩٧)، ومعنى قيامًا للناس أي يقومون بتعظيمه ولاشك أن هذا يدل على المحبة والإجلال، كذلك قال سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة : ١٢٥)، مثابةً للناس يعني كلما جاءوه إشتاقوا إليه أكثر وعادوا إليه بعد ذلك، وهذا متحقق بوضوح جدًا في الكعبة.

نستكمل الفقرة «**وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**».

بالطبع ما من أمة يذبح فيها الله عزَّ وجلَّ مثل أمة محمد، الله عزَّ وجلَّ يتقبل هذه الذبائح في موسم الحج، كما قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الحج العج والثج**» (حديث حسن. رزاه الترمذي وابن ماجة).

والعج يعني رفع الصوت بالتلبية والثج معناه إراقة دماء الأضاحي. فهذا إن شاء الله هو معنى «**وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي**»، «**لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب**». يعني الكعبة يأتيها جميع الناس من كل حدب وصوب يحجون ويعتمرون ويطوفون. قال سبحانه: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : ٢٧)، أليس هؤلاء هم كل الشعوب؟ وليس بيت خراف بني إسرائيل الضالة فقط؟!

«البشارة الرابعة عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٦٠:

«**١ قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. ٢ لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى. ٣ فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك**».

بشارة من أهم البشارات في العهد القديم. هذه البشارة خاصة بمكة، ويفهمها اليهود والنصارى على أنها خاصة بأورشليم وهذا غير متحقق بالمرة لعدة وجوه سنذكرها إن شاء الله متقطعة على كل فقرة من الفقرات.

الفقرة تقول: «**قومي استنيري لأنه قد جاء نورك**»، ونحن نتساءل متى جاء نور أورشليم؟ هل أتى نور أورشليم ببعثة المسيح؟ ألم تكن أورشليم تحت يد الإحتلال الروماني في زمن المسيح، ألم تكن أورشليم دائمًا وإلى الآن مصرعًا للتنافس السياسي الذي أريقت من أجله دماء الآلاف؟ فأي نور في هذا؟ أما

مكة فقد حفظها الله عزَّ وجلَّ حتى عندما كان أهلها على الشرك تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا لبيته المحرم الذي حفظه الله من أبرهة الأشرم الذي حاول هدمها، فرده الله عزَّ وجلَّ خائبًا وكان هذا إيذانًا وإرهاصًا لبعثة النبي الخاتم محمد ﷺ.

تقول الفقرة الثانية: «**لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى**».

هل أنتهت الظلمة من أورشليم؟ حتى اليوم إنها تعيش في ظلمة، وعاشت قبل ذلك في ظلمة بسبب اضطهاد الرومان للنصارى الأوائل، ثم في ظلمة أخرى بسبب اضطهاد النصارى لليهود، وما عرفت أورشليم معنى العدل إلا بفتح عمر بن الخطاب لها ثم عاشت ظلمات عندما استولى عليها النصارى مرةً أخرى واذاقوا المسلمين أصناف العذاب والتقتيل إلى أن عادت للمسلمين على يدي صلاح الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى. وهي الآن تحت سيطرة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة ـ فك الله أسرها ـ تعيش في ظلمات.

أما مكة فقد أعزها الله عزَّ وجلَّ أيما إعزاز **أولًا:** ببعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

ثانيًا: بجعلها بلدًا آمنًا ـ يحرم فيه القتال والصيد وقطع الحشائش.

ثالثًا: بتضعيف الثواب والعقاب في هذا البلد الحرام.

رابعًا: حتى في فتح مكة، دخلها رسول الله وهو في غاية التواضع والذل لله عزَّ وجلَّ وأكرم أهلها بعد أن آذوه. والعجيب جدًا في هذا الأمر أن الناصر

الفاتح يجمع الغنائم من المنهزم، ولكن الله عزَّ وجلَّ أكرم كثيرًا من أهل مكة بالإسلام وحاربوا مع رسول الله في غزوة حنين وغنموا مغانم عظيمة! سبحان الله هم الذين غنموا، وهذا لاشك من تعظيم الله عزَّ وجلَّ لبلده الحرام.

خامسًا: أعظم منطقة تروج فيها التجارة ولا تنقطع عنها ليل نهار أبدًا هي مكة بفضل الله عزَّ وجلَّ، وذلك لأن الحجاج والمعتمرين لا ينقطعون أبدًا عن زيارتها.

سادسًا: وهذا من أهم العناصر أن الله عزَّ وجلَّ أكرم هذه البلدة العظيمة بالتوحيد الخالص، فلا يدخلها أي أحد من غير المسلمين أبدًا. وكيف سمح الله في حرمه لمن يشرك به؟ حاشاه سبحانه فأي مجد أعظم من هذا وأي تكريم أعظم من هذا.

إذًا فعبارة «**أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى**» تنطبق تمامًا على مكة بلد الله الحرام.

حتى وإن كان القرامطة سرقوا الحجر الأسود وأخفوه عندهم عشرين سنة، حتى وإن كان هناك حدث سفك دماء. فإنه شيء لا يكاد يذكر إطلاقًا في التاريخ بالنسبة لغيرها من البلدان. فمكة هي أكثر بلدة آمنة مطمئنة على وجه الأرض إلى يومنا هذا، ولله الحمد والمنة.

أما الفقرة الثالثة: «**فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك**» فهي واضحة جدًا أنها تتحدث عن مكة، لأن أورشليم على مدار التاريخ لم تكن قائدة لم تسر الأمم في نورها، بل على العكس كانت دائمًا محتلة، والملوك غزوها واحدًا نلو الآخر. أما مكة فإن الأمم سارت في نورها «الإسلام والتوحيد».

«٤ ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي. ٥ حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم. ٦ تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا. تحمل ذهبًا ولبانًا وتبشر بتسابيح الرب».

«**بُكران مديان وعيفة**» مديان وعَيْفَة هما ولدا إبراهيم من زوجته الثالثة قطورة.

«٧ كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي».

الله أكبر وصف والله دقيق لمكة وما يأتيها من الأضاحي في موسم الحج. أليس كذلك؟ بلى ـ هل يوجد في أورشليم جمال وبُكران؟ ـ هل تجتمع إلى أورشليم غنم قيدار؟ أبدًا والله. إنها مكة.

عَيْفَة ومديان وقيدار وشبا هم سكان الشام والأردن وفلسطين والعراق وسيناء ليتحقق وعد الله لإبراهيم أن جميع الأمم تتبارك فيه.

أما قيدار ونبايوت فهما ابنا إسماعيل. وأنا أتساءل هل يحج العرب إلى أورشليم؟ هل يحج المسلمون من أبناء إسماعيل إلى أورشليم أم إلى مكة؟ هل يقدمون الكباش «الأضاحي» كما يقول النص «**تصعد مقبولة على مذبحي**» بمكة أم بأورشليم.

أما قوله «**وأزين بيت جمالي**» فهي عبارة واسعة يعني بالحج والعمرة كل عام وبكثرة الوافدين، وبكل أنواع التزين لأن المسلمين على مر العصور يتنافسون في تزيين وتشريف وتكريم الكعبة زادها الله عزًا وشرفًا وإعظامًا وإجلالًا.

«٨ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. ٩ إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك».

وصف عجيب والله لموسم الحج، وهل كانت هناك طائرات في زمن النبي إشعياء عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟!. يضيف هذا النص توافد الحجيج من كل حدب وصوب بالطائرات والباخرات «**لتأتي ببنيك من بعيد**» يبذلون الغالي والنفيس ونحن نعلم جميعًا كم هو الحج مكلف وتزداد تكلفته سنة بعد الأخرى، يعني «**وفضتهم وذهبهم معهم**» هذا المعنى متحقق فعلًا في الحج.

وأنا أتساءل هل هذا الوصف يتناسب مع مكة في موسم الحج أم مع أورشليم؟ وأترك للقارئ العزيز الإجابة، ولكن بعد أن يرى ويشاهد ويقارن مكة في موسم الحج، وأورشليم في أكثر الأوقات التي يتوافد إليها الناس. ولا تنسى عزيزي القارئ الحيادية والموضوعية في الإجابة، لأننا اتفقنا ابتداءًا أن هدفنا هو البحث عن الحقيقة واتباعها أينما وجُدت.

«١٠ وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك. ١١ وتنفتح أبوابك دائمًا. نهارًا وليلاً لا تغلق. ليُؤتى إليك بغنى الأمم».

«**بنو الغريب**» يعني بنو إسماعيل يبنون أسوارك يعني أسوار الكعبة، وملوك بني إسماعيل يخدمون الكعبة، ويخدمون الحجيج، ويقومون بسقايتهم ورعايتهم وتيسير أمر الحج لهم. والعجيب أن هذا كان فيهم حتى في أيام الجاهلية، قبل بعثة محمد.

فهل بنو إسماعيل يخدمون مكة أم أورشليم؟ ملوك بني إسماعيل يخدمون مكة بلدهم أم يخدمون أورشليم؟

«**وتنفتح أبوابك دائمًا. نهارًا وليلًا لا تغلق. ليُؤتى إليك بغنى الأمم**» أبواب المسجد الحرام مفتوحة ليل نهار لا تغلق أبدًا، على العكس تمامًا أبواب المسجد الأقصى ليست كذلك، لاشك أن الرواج التجاري بمكة «**غنى الأمم**» على مدار العام أكثر بكثير من الرواج التجاري في أورشليم.

«**١٤ وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل**».

في مقدمة الكتاب ولله الحمد والمنة. سبق بيان أن هناك تحريفًا ولاشك حدث في التوراة والإنجيل ـ وهذا باعتراف علماء الكتاب المقدس عند النصارى أنفسهم. ولاشك أن هذا من التحريف وأنا لا أقول ذلك انتصارًا لرأيي وإلا لما كنت ذكرت هذه الفقرة من الأساس. وإنما أقول ذلك لأنه يستحيل أن تكون المدينة المقصودة هي القدس. أو حتى أي مدينة أخرى غير مكة، لما سبق من الإشارات الواضحة جدًا بأنها مكة، كذلك أنا أتساءل في هذه الفقرة: هل بنو الذي قهروا القدس ساروا إليها خاضعين. ألم تتهدم أورشليم وتصير رومانية وثنية؟

ألم يحدث لليهود بعد إشعياء عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مباشرة سبي بابل العظيم؟ أليست أورشليم في حالة من عدم الاستقرار الآن، وقد كانت كذلك في كثير من فترات التاريخ؟

أما بالنسبة لمكة فإن الطائرات لا تستطيع أن تطير فوق بيت الله الحرام، مكة لا يدخلها إنسان غير مسلم، غير موحد على الإطلاق، أبدًا. أليست هذه عِزة؟ إي والله وأي عِزة.

قارن بين مكة وأورشليم على مدار التاريخ في الأمن والأمان والاستقرار والرواج الاقتصادي، وتوافد الحجيج وكثرتهم، وخدمة البيت الحرام وخدمة الأقصى والعدل وعدم سفك الدماء. وستعرف الإجابة عزيزي القارئ.

«١٥ عوضًا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخرًا أبديًا فرح دَوْر فدَور».

نعم والله مكة كانت مهجورة وأرض مُستوحشة من أيام إسماعيل كانت بلا عابر بها، بعكس القدس تمامًا. فجعل الله عزَّ وجلَّ مكة فخرًا أبديًا، أما القدس فقد تعرضت ومازالت تتعرض لكثير جدًا من الآلام والظلم وسفك الدماء.

«١٨ لا يسمع بعد ظلم في أرضك ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصًا وأبوابك تسبيحًا».

قد يُسمع ظلم في المملكة العربية السعودية ـ يعني كما في غيرها من كل دول العالم ـ أما في مكة تحديدًا فلا يسمع في المجمل مقارنةٌ بأي بلد آخر ولا خراب ولا سحق في تخوم مكة وهذا واضح وجلي تمامًا وسط ما ينتاب منطقة الشرق الأوسط من صراعات، سبحان الله! حتى السجائر بفضل الله عزَّ وجلَّ لا تباع في مكة ولا في المدينة. أي عدل وأي عظمة أكثر من هذا.

«**بل تُسمِّين أسوارك خلاصًا وأبوابك تسبيحًا**». وأسوار مكة هي خلاص فعلًا من الشرك فلا يدخلها إلا مسلم موحد. وأبوابك تسبيحًا: أبواب الحرم يسمع فيها التسبيح والتكبير والتلبية والتهليل لا ينقطع ليل نهار.

«**٢٢ الصغير يصير ألفًا والحقير أمة قوية. أنا الرب في وقته أسرع به**».

«**الصغير يصير ألفًا والحقير أمة قوية**». في هذه البشارة نلاحظ تكثير عدد المسلمين من ناحية ومن ناحية أخرى إعظام شأن هذه الأمة. يعني كمًا وكيفًا.

«**الصغير يصير ألفًا**»: مكة كانت مهجورة تمامًا قبل أن تأتيها هاجر وولدها ثم تجمع بها قليل من الناس عندما فُجرت بئر زمزم، ثمن أخذوا في الازدياد شيئًا فشيئًا.

«**والحقير أمة قوية**»: كان العرب قبل الإسلام أجهل الناس وأحط الأمم على الإطلاق فأعزهم الله عزَّ وجلَّ بالتوحيد الخالص فصاروا أمة قوية سادت العالم بأجمع عندما طبقوا الإسلام وتمسكوا بالقرءان وبسنة النبي ﷺ.

«البشارة الخامسة عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٦١:

«**٦ أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون**».

هكذا يخاطب إشعياء النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بني إسرائيل «اليهود»، ومن يقرأ هذا الكتاب الآن سواءًا من اليهود أو النصارى أو المسلمين أو غير ذلك، يعرف تمامًا أن اليهود يأكلون ثروة الأمم بالربا الفاحش الباهظ الذي يتعاملون به منذ

دهر طويل، وكذلك هم تآمروا على مجد المسيح مع أنه من بني إسرائيل رَمَوْا أمه بالزنا ـ وحاشاها عليها السلام ـ ، حاولوا صلبه، ثم تآمروا على مجد محمد. وهم إلى الآن يتآمرون على كل شعوب الأرض. هم والله سبب الفتن والحروب والخراب في الدنيا.

فاللوبي الصهيوني في أمريكا يؤثر جدًا على صناعة القرار السياسي، ومعلوم أن هذه الدولة تتجسس على كل دول العالم ـ بدعوى مكافحة الإرهاب ـ وتمنع بأي شكل وبكل الطرق والوسائل أية دولة تحاول أن تتقدم وترتقي وتزدهر إذًا فاليهود فعلًا على مر التاريخ يأكلون ثروات الأمم، وعلى مجدهم يتآمرون.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ (التَّوْبَة: ٣٤).

قال عزَّ من قائل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النِّسَآء: ١٦٠، ١٦١).

«٧ عوضًا عن خزيكم ضعفان وعوضًا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم. لذلك يرثون في أرضهم ضعفين. بهجة أبدية تكون لهم».

عوضًا عن خزي اليهود ضعفان لأنهم أولًا حرفوا وبدلوا في التوراة وكذلك عصوا كثيرًا الله عزَّ وجلَّ، ووصفهم الله في التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة. وعبدوا العجل، ونكثوا عهد الله عزَّ وجلَّ معهم كما في سفر (التثنية ١٦/٣١): **«١٦ وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها فيما بينهم**

ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه. ١٧ فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم واتركه واحجب وجهي عنه فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم إما لأن إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور».

فهذا هو أول خزي، والخزي الآخر عندما اجتمعوا في المدينة المنورة التي شرفها الله عزَّ وجلَّ بهجرة نبيه إليها، لأنهم كانوا يعلمون أنها مهجر نبي، وكانوا يتوعدون الأوس والخزرج، وكانوا يقولون لهم: قريبًا سيُبعث نبي آخر الزمان فنؤمن به ونقاتلكم ونقتلكم قتل عاد وإرم. فلما جاءهم النبي الخاتم ما آمنوا به حسدًا من عند أنفسهم. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (البقرة: ٨٩، ٩٠).

إذًا عوضًا عن خزيكم ضعفان تعني قول المولى عزَّ وجلَّ ـ والله أعلم بمراده ـ فباءو بغضبٍ على غضب.

نستكمل النص: «**وعوضًا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم**». هذا طبعًا خاصٌ بالأمم التي على مجدها يتآمر اليهود. فمن المقصود هنا يا ترى من الأمم المسلمون أم النصارى فيستحيل أن يبشر إشعياء بالبهجة الوثنية مثلًا أو الهندوس لأنهم غير أصحاب رسالة سماوية أصلًا.

إذًا المقصود هنا إما المسلمون وإما النصارى. تعالَ لنستكمل البشارة ونرى هل هي خاصة بالمسلمين أم النصارى.

«٨ **لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم. واجعل أجرتهم أمينة واقطع لهم عهدًا أبديًا**».

دعنا نقول أن الفقرة إلى الآن والبشارة التي فيها مازالت غامضة تحتمل أن تكون للمسلمين وتحتمل أن تكون للنصارى.

«٩ **ويعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب**».

من الذين يعرفون وسط الأمم، ممكن أن يكون النصارى بدق الصليب ورسمه ورشمه وتعليقه كسلسلة، ولكن الذين يرونهم يعرفون أنهم نسل باركه الرب؟ أليس مكتوبًا عندهم في سفر التكوين الذي يؤمنون به ٢٤: «٦٤ **ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحق فنزلت عن الجمل. ٦٥ وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا. فقال العبد هو سيدي. فأخذت البرقع وتغطت**». والبرقع معناه أنها غطت وجهها ولم تغط شعرها فقط.

ألا يعتبر النصارى بولس حواريًا إن لم يكن رسولًا عندهم إن لم يكن مؤسس عقيدتهم؟ ألم يقل بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس (٦/١١): «**إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها. وإن كان قبيحًا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط**»، ألا يصور النصارى حتى يومنا هذا مريم العذراء عليها السلام بالحجاب فلماذا إذًا لا يلبس الحجاب أي أحد من النصارى إلا الراهبات فقط، ألم تحرم المشروبات المسكرة على بني إسرائيل في التوراة كما سبق بيانه. لماذا يشرب كثير من النصارى ـ بل معظمهم ـ الخمر؟ ألم يقل عيسى للشيطان في التجربة إنجيل لوقا: «**اذهب يا شيطان إنه مكتوب: للرب**

إلهك تسجد وإياه وحده تعبد». فلماذا يسجد النصارى لغير الله، ولماذا يعبدون عيسى، ولماذا يطلبون قضاء الحوائج من القديسين؟

عزيزي القارئ أليس هذا هو حال النصارى؟. في تعاملي دائمًا مع غير العرب «غير المصريين تحديدًا» يكون إسلام المرء فيهم أسهل بكثير جدًا من إسلام المصريين النصارى. لماذا؟ أليس هؤلاء هم الأوروبيون المتقدمون في كل شيء؟ ألسنا نحن الذين نتشدق بالحضارة الغربية ـ خصوصًا النصارى في مصر ـ لماذا إذًا عندما يتبع هؤلاء الحق يكونون عندكم بلهاء لا يعلمون شيئًا، والله لقد ذكرتموني بقول اليهود عن عبد الله بن سلام للنبي عندما سألهم عنه فقالوا: هو عالمنا وابن عالمنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فكيف لو أسلم**» قال اليهود حاشاه، فخرج عليهم عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله. فقال اليهود: هو سفيهنا وابن سفيهنا!!!

النصارى في مصر ـ لشديد الأسف ـ كثير منهم يتربى منذ الصغر على كراهية الإسلام ـ حتى وإن أظهروا خلاف ذلك ـ وإني والله أقول لهم بصدق أعطوا لأنفسكم فرصة ولو مرة في العمر لمحاولة الوصول إلى الحق بحيادية تامة، ودون أي تعصب.

أنا كرجل مسلم عندما أقرأ أي كتاب أو أسمع أي درس أو محاضرة لشيخ لابد أن أعرض كل ما يقال على الكتاب والسنة فإن وافقهما أخذت به، وإن خالفهما ضربت بهذا القول عرض الحائط. لماذا أنتم لا تفعلون ذلك؟ لماذا تأخذون أقوال القساوسة مسلمات كأنهم لا يخطئون. أنتم والله تناقضون أنفسكم،

لأن الأنبياء عندكم غير معصومين من الخطأ. فهذا لوط قد زنى ببنتيه، وهذا يعقوب قد صرع ربه، وهذا سليمان قد مال قلبه إلى آلهة أخرى وارتد في آخر أيامه ـ وحاشاهم جميعًا عليهم الصلاة والسلام ـ . فكيف لي أن أثق بكلام من يزني بابنتيه أو من يصرع ربه؟. وكيف للقساوسة أن يكونوا معصومين أما الأنبياء فلا؟ ـ المشكلة الرئيسية عند نصارى مصر بالذات ـ هي العصبية، التحدي وأنا أقول لهم بمنتهى الحيادية والتواضع والذل لله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وأنا أقول هذا نسبيًا يعني نسبة الذين يسلمون من النصارى في أوروبا وأمريكا وأفريقيا بل وأمريكا اللاتينية أيضًا أكثر بكثير من النصارى الذي يسلمون في مصر. ولكن ولله الحمد والمنة يسلم في مصر أيضًا عدد غير قليل من النصارى. كنت معتكفًا في المسجد أنا وصديق لي متخصص في مجادلة أهل الكتاب فرأينا شهادة اعتناق إسلام أحد الأخوة النصارى الذين أسلموا ولله الحمد والمنة فشكرنا الله عزَّ وجلَّ على ذلك. ثم قال لي: «لقد مَنَّ الله عزَّ وجلَّ عليَّ وشاركت في استخراج ثلاثة آلاف بطاقة اعتناق إسلام كهذه»!!!

نعود إلى «**الذين يعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم وسط الشعوب، كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب**».

الختان، اللحية، النقاب، الحجاب، القميص «الجلباب»، السواك، الثياب البيضاء، المحافظة على الصلوات في المساجد. أليس كل هذا هو معنى كل الذين يرونهم يعرفون أنهم نسل باركه الرب؟

النصارى إلى الآن كيف يصورون عيسى ومريم عليهما السلام. يصورون عيسى بلحية ومريم بحجاب. أليس هذا هو زينا نحن المسلمين؟ في العالم أجمع، في كل بقاع الأرض من هي الأمة التي متمسكة إلى الآن بينها مظهرًا ومخبرًا ـ ليس إدعاءًا فقط ـ المسلمون أم النصارى؟

تعالوا نستكمل النص: «**١٠ فرحًا أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها**».

هذا النص ليس فيه أي إشكال على الإطلاق فلفظة «عمامة» واضحٌ جدًا أنها خاصة بالمسلمين فقط لا غير، فلا اليهود يلبسون العمائم ولا النصارى إطلاقًا بل ولم يعرفوها قبل ذلك.

والعمامة نتزين بها نحن المسلمون وكذلك في العرس خاصة إلى الآن المسلمون في القرى والنجوع يتزينون بالعمامة. فانظر عزيزي القارئ كيف خاطب إشعياء النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اليعود من آلاف السنين بهذه العلامة المميزة جدًا للمسلمين.

«البشارة السادسة عشر»

ـ كتاب سفر إشعياء إصحاح ٦٥:

«١ أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وجدت من الذين لم يطلبوني. قلت هأنذا هأنذا لأمة لم تسم باسمي».

الذين لم يسألوا والذين لم يطلبوا هم العرب. لأنهم عاشوا من بعد إسماعيل طوال عمرهم في تُراهات الضلال والوثنية، لم يكونوا أهل كتاب أبدًا، كانت كل عباداتهم شركية بحتة، لم يقفوا يومًا ما على ذات الرب وأفعاله وأسمائه وصفاته، ولا شرائعه. كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وجملة «**لأمة لم تسم باسمي**» تنطبق تمامًا على العرب، لأن اليهود والنصارى يقولون عن أنفسهم أنهم أبناء الله، كما في إنجيل متى ٩/٥: «**طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يُدْعَون**». قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨).

«٢ بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره. ٣ شعب يغيظني بوجهي دائمًا يذبح في الجنات ويبخر على الأجر. ٤ يجلس في القبور ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير وفي انيته مرق لحوم نجسة. ٥ يقول قف عندك. لا تدن مني لأني أقدس منك. هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار».

المقصود في هذه الفقرة اليهود والنصارى عمومًا والجامع بينهما عدم التوحيد الخالص لله عزَّ وجلَّ ومخالفة أوامره، فعبادة القبور وتقديس الموت والبخور في الكنائس وأكل الخنزير، كل هذا من عادات النصارى، كذلك إدعاء اليهود أنهم شعب الله المختار وأن جميع الأمم الأخرى إنما هم حيوانات وما خُلقوا إلا ليخدموهم «**يقول قف عندك. لا تدن مني لأني أقدس منك**».

فواضح جدًا من هذه الفقرات الخمس أن النبوة والتوحيد والسيادة والقيادة ستتحول من بني إسرائيل إلى أمة أخرى «أمة محمد». لأنهم هم الوحيدون الموحدون الذين كان فيهم آخر الأنبياء بعد عيسى، والذين فعلًا فتحوا مشارق الأرض ومغاربها ونشروا فيها الإسلام.

وفي نفس الإصحاح: «**١٥ وتخلفون اسمكم لعنةً لمختاري فيميتك السيد الرب ويسمي عبيده اسمًا آخر. ١٦ فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عيني**».

«**فيميتك السيد الرب**» ممكن أن تكون هذه العبارة كناية عن نهاية زعامة بني إسرائيل الدينية، لأنهم حرفوا وبدلوا الدين وخالفوا الشريعة سواءًا كانوا يهودًا أو نصارى، ويسمي عبيده اسمًا آخر يعني المسلمين، قال سبحانه: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨).

«**فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق**». اليهود والنصارى لا يتباركون بالله، بل يتباركون بالأحبار والرهبان والمسيح، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن

دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣١).

المسلمون الخلص لا يتباركون بالأموات ولا يشركون مع الله شيئًا في العبادة إطلاقًا ـ بعكس النصارى ـ ، والمسلمون الخلص لا يحلفون إلا بالله عزَّ وجلَّ. كما قال النبي ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» والحديث في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب.

أما النصارى فهم يزعمون أن المسيح نهاهم عن الحلف بالله، فهم لا يحلفون بالله، بل يحلفون بالصليب الملعون في كتابهم (تثنية ٢١/٢٢): «**وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة**»، وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٣/١٣): «**المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة**». إذًا فعبارة «**فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق**» لا تنطبق إلا على المسلمين.

«البشارة السابعة عشر»

ـ كتاب سفر إرميا إصحاح ١:

«٤ فكانت كلمة الرب إلي قائلاً. ٥ قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبيًا للشعوب».

كلمة الرب يعني الوحي، ومن أساليب الكتاب المقدس عند النصارى أن النبي أحيانًا يتنبأ عن غيره وكأنه يتكلم عن نفسه، لأن إرميا قطعًا ليس هو المقصود بهذه البشارة، لأن إرميا لم يكن نبيًا للشعوب، فالنبي الوحيد الذي أُرسل إلى الناس كافة هو محمد.

يقول النص «**قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك**». عن العرباض بن سارية عن النبي أنه قال: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **لمنجدل في طينته**» (حديث صحيح رواه أحمد). في أم الكتاب يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب الله عزَّ وجلَّ فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. وإن آدم لمنجدل في طينته يعني وإن آدم لم يخلق بعد. ممكن هذا أن ينطبق على النبي إرميا أو على المسيح عليهما السلام، بالطبع ممكن ولكنهما لم يرسلا إلى كل الشعوب. اقرأ أخي الكريم بقية البشارة «**جعلتك نبيًا للشعوب**». وقد ذكرنا مرارًا ولله الحمد والمنة الآيات التي تدل على أن محمدًا أرسل للناس كافة، وأما المسيح فقد أمر الحواريين ألا يمضوا إلى طريق الأمم، بل أن يذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل (متى ١٠/٥-٦).

ما أرسل عيسى ولا إرميا إلا لبني إسرائيل فقط، أما محمد فقد أُرسل إلى الناس كافة، كما يروي أبو هريرة أن النبي قال: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأُحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا وأُرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**» (حديث حسن صحيح. رواه الترمذي).

نفس الإصحاح: «**٨ لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب. ٩ ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك. ١٠ انظر. قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس**».

«**ها قد جعلت كلامي في فمك**» أليس هذا هو بالضبط نفس معنى البشارة التي وردت في سفر التثنية إصحاح ١٨ فقرة ١٨ والتي سبق شرحها ولله الحمد والمنة، والكلام كان لموسى: «**أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**». وبينا هناك أيضًا معنى واجعل كلامي في فمه.

نستكمل البشارة: «**قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس**».

ما وكل الله عزَّ وجلَّ لا المسيح ولا إرميا عليهما السلام على الشعوب والممالك إنما بعث إرميا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بني إسرائيل فقط، ولكنهم كعادتهم عَصَوْه وكذبوه، بل ألقوا القبض عليه وسجنوه، ومكث في السجن عشر سنين في عهد الملك حزقيا. سبحان الله وإرميا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفسه له مراثي في خراب

أورشليم الذي تم في عهده على يد نبوخذ نصر وتعرف هذه المراثي «بمراثي إرميا» أو «سفر المراثي».

فكيف يمكن لإرميا أن يكون وُكِّل من قبل الله عزَّ وجلَّ على الشعوب وعلى الممالك ليقلع ويهدم ويُهلك إن كانت مدينته أصلًا قد أهلكت في عهده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!!، نحن كمسلمين نتعبد لله عزَّ وجلَّ بحب المسجد الأقصى، والقدس عندنا مدينة لها مكان وشأن عظيمًا في القلب، وليس القصد من هذا إطلاقًا هو النيل من إرميا النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أبدًا، ولا النيل من أي نبي من الأنبياء، وإنما أنا أسرد البشارة وأحاول تحليلها، فهي فعلًا لا يمكن بحال أن تنطبق على إرميا ولا على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عيسى الذي حاربه اليهود طوال مدة بعثته ووشوا به، وعاش مطاردًا منهم، ومدة بعثته تقريبًا ثلاث سنوات، لم يُرسل فيها إلا إلى بني إسرائيل، والذين ساروا معه واتبعوه، لا يقارنوا إطلاقًا بأتباع محمد وهم على زعم اليهود والنصارى أُلبس تاجَ شوكٍ واستهزئ به، وعُذب وصلب. فلاشك هذه البشارة ليست له. ليس هو المقصود بها، وإنما المقصود بها هو محمد إي والله! «**انظر. قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب**» يعني كل الشعوب وليس بني إسرائيل فقط. «**لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس**».

ما فعل ذلك إلا رسول الله. حتى أتباع عيسى من بعده حرفوا دينه، ليرضوا الأباطرة الرومان، أدخلوا في دينه التثليث الذي كان في مصر القديمة، وأدخلوا في دينه كثير من الشركيات واللجوء والتضرع لغير الله عزَّ وجلَّ ليناسب الطقوس الوثنية التي كانت عند الرومان، أما محمد والصحابة من بعده كانوا حريصين أشد الحرص على التمسك بالتوحيد، حتى عندما أراد أهل

الطائف الإسلام عرضوا على النبي أن يعبدوا الربَّه (التي كانوا يعبدونها في الجاهلية) عامًا واحدًا فأبى، فسألوه أن يعبدوها شهرًا فأبى، يومًا فأبى. بل أصر بأبي هو وأمي أن تُهدم وهدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كل التماثيل التي كانت عند الكعبة ٣٦٠ صنمًا نقض كل مظاهر الشرك وبنى جيلًا عَبَّد الدين بدين الله عزَّ وجلَّ، غرس في الأمة معنى التوحيد والإسلام والأخوة والإخاء والإيثار، والسمع والطاعة المطلقة لله ولرسوله.

عزيزي القارئ أليس هذا هو معنى «**قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس**»؟

نفس الإصحاح فقرة ١٨، ١٩: «**١٨ هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض. لملوك يهوذا ولرؤسائها ولكهنتها ولشعب الأرض.١٩ فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك**».

اليهود سجنوا النبي إرميا عشر سنين، ويقال أنهم ألقوا عليه القبض في مصر ورجموه حتى استشهد، ويقال أنه رجع من مصر إلى أورشليم مرةً أخرى، أيا كان، فإن اليهود قدروا على أن يسجنوه، يعني عبارة «**فيحاربونك ولا يقدرون عليك**» لا تنطبق إطلاقًا على إرميا النبي، وكذلك لا تنطبق بالمرة على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأن اليهود طاردوه، وفرق كبير بين المحاربة والمطاردة. المحاربة تكون بين اثنين بينهما تكافؤ في القوة، أما المطاردة فتكون من طرف أقوى على طرف مستضعف، فهذا ما حدث من اليهود مع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا داعي للتحريف ولي عنق النصوص الذي هو حال كثير من الناس في الجدل غير المفيد.

فقد يقول قائل بل لم يقدر عليه اليهود لأنه يصلبه «المزعوم» كفر عن خطيئة آدم وخطيئة كل من آمن به «كإله» وأنا أقول بمجرد صلبه «المزعوم» فإنهم يكونون قد قدروا عليه فضلًا عن الاستهزاء به وإلباسه تاجًا من شوك والبصق عليه، وحاشاه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فنحن كمسلمين لا نعتقد في هذا إطلاقًا نحن في قرءاننا نكرم عيسى أفضل ما كرم به في الكتاب المقدس عند النصارى، وكذلك نكرم مريم أكثر ما كرمت في الكتاب المقدس عند النصارى، ومع ذلك لا نعبدها، ولا نعتقد أنهما يملكان قضاء الحوائج ولا جلب النفع ولا دفع الضر.

والذي ينتصر على اليهود بأن يصلبوه، هل يقول وهو يعلم العالم كله معنى التضحية وأعظم معاني العبودية: «**إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني**» (متى ٢٧/٤٦). أهذا هو معنى هذه البشارة «**فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأُنقذك**».

أيها القارئ الكريم نحن لا نؤمن أصلًا بصلب المسيح، ولكن نعلم تمامًا أ، هناك من صُلب ولكنه ليس عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النِّسَآء: ١٥٧، ١٥٨). أما محمد فقد حاول اليهود كثيرًا جدًا أن يهدموا دولته بالمدينة فما استطاعوا بل بفضل الله هو الذي أجلى منهم بني النضير إلى الشام، وذبح بني قريظة لما خانوا العهد، وفتح خيبر وفدك، وكذلك أجلى يهود بني قينقاع. فهذا هو معنى «**فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأُنقذك**».

«البشارة الثامنة عشر»

ـ كتاب سفر إرميا إصحاح ٥٠:

«١ الكلمة التي تكلم بها الرب عن بابل وعن أرض الكلدانيين على يد إرميا النبي. ٢ أخبروا في الشعوب واسمعوا وارفعوا راية. اسمعوا لا تخفوا. قولوا أخذت بابل خزي بيل. انسحق مرودخ. خزيت أوثانها انسحقت أصنامها. ٣ لأنه قد طلعت عليها أمة من الشمال هي تجعل أرضها خربة فلا يكون فيها ساكن. من إنسان إلى حيوان هربوا وذهبوا».

حقيقةً سقطت بابل بعد سنة ٥٥٦ قبل الميلاد على يد الأشوريين ولكنه كان سقوطًا بسبب الدسائس والمؤامرات والانقلابات العسكرية ولم يحدث فيه خِزْي للأوثان ولا تكسير للأصنام إطلاقًا، لأن الآشوريين أيضًا هم عباد أوثان، بل هم أنفسهم اهتموا كثيرًا جدًا بإله القمر تحديدًا لأنه هو إلههم الذي كانوا يعبدونه «الإله سين». إذًا فسقوط بابل القديمة قطعًا ليس هو المقصود من هذه البشارة لسببين:

أولًا: لأنها لم تسقط بسبب فتح أو حرب شرسة. بل سقطت بسبب المؤامرات والدسائس، أما النص فيقول: «**لأنه قد طلعت عليها أمة من الشمال هي تجعل أرضها خربة**».

ثانيًا: لأنه لم يحدث خزي ولا سحق للأصنام والأوثان بل ما حدث هذا إلا بفتح العراق ثم فارس والمدائن وهدم وتكسير الأوثان والأصنام، ولكن تبقى مشكلة، ألا وهي أن النص يقول «**لأنه قد طلعت عليها أمة من الشمال**» وفي كل

الأحوال عندما سقطت بابل بعد عام ٥٥٦ ق. م.، لم يأت القبائل التي أسقطتها من الشمال فقط، بل ومن الشرق والغرب أيضًا. إذًا جملة «**قد طلعت عليها أمة من الشمال**»، لابد أن يكون فيها تحريفًا لأن هذا خالف الوقائع والحقائق التاريخية.

والمسلمون فتحوا العراق وبابل من الجنوب وليس من الشمال، ولكنهم هم الوحيدون الذي كسروا أصنام بابل وحطموا أوثانها. كما أن الفقرة الآتية (فقرة ٤١) من نفس الإصحاح تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن المقصود هنا هم المسلمون.

«**٤١ هوذا شعب مقبل من الشمال وأمة عظيمة ويوقظ ملوك كثيرون من أقاصي الأرض.٤٢ يمسكون القوس والرمح. هم قساة لا يرحمون. صوتهم يعج كبحر وعلى خيل يركبون مصطفين كرجل واحد لمحاربتك يا بنت بابل**».

هذا وصف دقيق جدًا للمسلمين ـ إلا جملة «**من الشمال**» ـ وأغلب الظن كما ذكرنا أن هذه الجملة محرفة ـ والله أعلم ـ لأن المسلمين أمة عظيمة، تتذكرون أول البشارات قول الله لإبراهيم: «**فأجعلك أمةً عظيمة**»، وقول الله عن إسماعيل: «**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثني عشر رئيسًا يلد وأجعله أمة كبيرة**» (سفر التكوين ١٧/ ٢٠).

فالأمة العظيمة هي أمة محمد، يمسكون القوس والرمح. وكان العرب مميزون جدًا في القوس وفنون القتال والفروسية ومعرفون بإجادتهم للطعن

بالرمح، والرمي بالقوس، كما قال النبي ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا**» (أخرجه البخاري من حديث سلمة بن الأكوع)، كذلك قال ﷺ في الحديث الذي يرويه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**» (أخرجه مسلم).

نستكمل النص: «**هم قساة لا يرحمون**»، هذا هو معنى قول خالد بن الوليد للفرس: أتيناكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون أنتم الحياة.

«**صوتهم يعج كبحر**» هو والله التكبير الذي يكون في المعارك ويرهب أعداء الله عزَّ وجلَّ، إن كان التكبير يرهب أعداء الله عزَّ وجلَّ في غير المعارك، فكيف به إذًا في المعارك!

«**وعلى خيل يركبون مصطفين كرجل واحد لمحاربتك يا بنت بابل**» ما رَكِبَ أحد الخيل كما ركبه العرب، مصطفين كرجل واحد هو تطبيق حرفي لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصَّفّ: ١٥٧، ١٥٨).

عزيزي القارئ أليست كل هذه الأوصاف مع فتح العنوة مع تكسير وتحطيم الأوثان وهدم الأصنام تنطبق على المسلمين فقط دون غيرهم؟

وعمومًا كتاب النبي إرميا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورد فيه أكثر من مرة سقوط بابل، وفي كل مرة يصف هذا السقوط بالانهيار أو التحطيم أو تكسير الأصنام والأوثان، وهذا فعلًا لا ينطبق إلا على الفتح الإسلامي للعراق.

«البشارة التاسعة عشر»

ـ كتاب سفر دانيال:

ومعروفة هذه البشارة بحلم نبوخذناصر «يعني ما رآه فيما يرى النائم» وهي بشارة طويلة إن سردتها كلها، لذلك إن شاء الله تعالى سأتحدث عن فحواها ثم أسوق الحُلم بالكامل وتفسيره كما فسره دانيال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

رأى نبوخذناصر حلمًا فانزعج منه فلم يخبر به أحدًا، فاستدعى المنجمين والسحرة والمجوس والكلدانيين ليفسروا له الحلم، ووعدهم بعطايا جزيلة إن نجحوا في تفسير الحلم، أما إن فشلوا فتوعدهم بالقتل والتمزيق إربًا إربًا ومن جبروت هذا الملك أنه رفض أن يخبرهم بما رأى، بل هم يخبروه عما رأى ويفسرونه له ليتأكد أنهم لا يكذبون، فأجابوا أن هذا ليس في أيديهم، وهذا أمر عسير، فأمر نبوخذناصر بإبادة كل حكماء بابل، وفعلًا بَدَأَ قَتْل الحكماء، وكذلك استدعوا دانيال وأصحابه ليقتلوهم، ولكن دانيال طلب مهلة من الملك، وفعلًا في تلك المهلة كما يقول النص كشف الله لدنيال سر الحُلم في رؤيا الليل، فحمد دانيال الله وعظمه. ثم دخل على الملك يخبره بالحلم وتفسيره. وهالك الحلم والتفسير:

دانيال الإصحاح الثاني: «**٢٥ حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعًا وقال له هكذا. قد وجدت رجلاً من بني سبي يهوذا الذي يعرف الملك بالتعبير. ٢٦ أجاب الملك وقال لدانيال الذي اسمه بلطشاصر هل تستطيع أنت على أن تعرفني بالحلم الذي رأيت وبتعبيره. ٢٧ أجاب دانيال قدام الملك وقال. السر الذي طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا**

المجوس ولا المنجمون على أن يبينوه للملك. ٢٨ لكن يوجد إله في السموات كاشف الأسرار وقد عرف الملك نبوخذناصر ما يكون في الأيام الأخيرة. حلمك ورؤيا رأسك على فراشك هو هذا. ٢٩ أنت يا أيها الملك أفكارك على فراشك صعدت إلى ما يكون من بعد هذا وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون. ٣٠ أما أنا فلم يكشف لي هذا السر لحكمة في أكثر من كل الأحياء. ولكن لكي يعرف الملك بالتعبير ولكي تعلم أفكار قلبك. ٣١ أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهي جدًا وقف قبالتك ومنظره هائل. ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ٣٣ ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. ٣٤ كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيرًا وملا الأرض كلها. ٣٦ هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك. ٣٧ أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارًا وسلطانًا وفخرًا. ٣٨ وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها. فأنت هذا الرأس من ذهب. ٣٩ وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض. ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. ٤١ وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد

فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين.٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويًا والبعض قصمًا.٤٣ وبما رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدًا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد.٤٥ لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين.٤٦ حينئذ خر نبوخذناصر على وجهه وسجد لدانيال وأمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور.٤٧ فأجاب الملك دانيال وقال. حقًا إن إلهكم إله الإلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار إذ استطعت على كشف هذا السر».

تأمل معي عزيزي القارئ هذه الفقرات المهمة من الحُلم وتفسيره «**كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين**» يعني هذا الحجر قُطع دون يَدَيْن، يفسر هذه العبارة الدكتور وديع أحمد فتحي «الشماس المصري السابق» بأن هذا الحجر ليس من صنع الإنسان، بل هو رسول الله حقًا. ولاشك أن الحجر هنا معناه الرسول الخاتم بلاشك، لأن عيسى وصفه بنفس الوصف تمامًا «**الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية**» (متى ٢١/٤٢) وسنشرحها فيما بعد بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

ومجرد معنى أنه رسول إذًا فهو من عند الله عزَّ وجلَّ. إذًا فماذا أضافت هنا عبارة «**بغير يدين**» المعنى الذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلى وأعلم ـ أنه لم يتلق أيَّ

علم من البشر على الإطلاق، ولا تلوث إطلاقًا بنفايات الحضارات وخزعبلات الشركيات التي قد أصابت الرسالات السماوية ولا الحضارة الفارسية ولا الرومانية. لأنه بأبي هو وأمي لم يكن يقرأ ولا يكتب. بل تلقى الوحي من الله عزَّ وجلَّ، وتلقى كل علمه منه سبحانه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النِّسَآء: ١١٣).

إذًا فهذا هو معنى «**قُطع حجر بغير يدين**» ـ أما لماذا فسرت الحجر على أنه النبي محمد، فكما ذكرنا لأن هذا ورد في بشارة أخرى، كذلك لأن هذا الحجر حطم الإمبراطورية الفارسية تمامًا فانسحقت وصارت كعصافة البيدر في الصيف، كما يقول النص.

واللطيف جدًا في تفسير الرؤيا قول دانيال: «**كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا**» يعني أن المسلمين عندما قضوا على دولة الفرس، فقد انتهت إلى الأبد بمعنى آخر لن تستطيع أي أسرة من أسر ملوك فارس إعادة هذه الدولة على الإطلاق، وبفتح المسلمين للمدائن انتهت إلى الأبد هذه الدولة، ولم يقم لها قائمة، حتى أهلها إلى الآن وإن كان المذهب الشيعي عندهم هو المذهب الرسمي للدولة، وإن كانوا في المجمل يفتخرون بأن أصلهم فارسي وليس عربي إلا أنه لم تقم قائمة «لدولة الفرس المجوسية» بعد الفتح الإسلامي لها بفضل الله عزَّ وجلَّ. فكيف إذًا لا ينطبق هذا الوصف على رسول الله وعلى الصحابة والتابعين من بعده. هل عيسى هدم دولة الفرس بغير رجعة؟ هل أتباع أي نبي آخر غير محمد هدموا

دولة الفرس بغير رجعة؟ هل استطاع الرومان في أوج مجدهم وقوتهم، عندما كانوا يدينون بالنصرانية أن يقضوا على دولة فارس تمامًا، أم أن العرب كانت سجالًا يومًا عليهم ويومًا لهم؟ ما قضت أمة من الأمم على دولة فارس إلا أمة محمد ﷺ.

كما قال رسول الله في الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال: قال رسول الله: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**» (رواه البخاري).

وسبحان الله! الشيء الذي يؤكد هذا المعنى هو بقية تفسير دانيال للحُلم: «**٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدًا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد**» فعلًا أفنى المسلمون ملك كسرى وقيصر إلى الأبد وفتحوا الهند والسند والأندلس وإفريقيا وآسيا الوسطى ودخل الناس في دين الله أفواجًا. ورغم ما ينتاب الأمة من فترات ضعف شديد إلا أنها بفضل الله عزَّ وجلَّ لا تفنى ولا تُباد أبدًا.

ثم تدبر قول دانيال: «**٤٥ لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب**».

يعني أعاد دانيال سبب سقوط مملكة فارس «**لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين**» مما يؤكد هذا المعنى تمامًا. والحجر هو محمد والجبل هو النبوة «الأنبياء» «بغير يدين» يعني أنه كان أميًا وتلقى العلم كله من الله عزَّ وجلَّ، أو أنه كان من سلالة إسماعيل الذين لم يكن فيهم أنبياء على الإطلاق إلا محمد بعد

آلاف السنين، عكس بني إسرائيل الذين كانت تسوسهم الأنبياء، إذا هلك نبي تبعه نبي آخر. «**فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب**» يعني قضى تمامًا على مجد هذه الإمبراطورية التي كانت في منتهى الغطرسة، قضى عليها إلى الأبد.

«البشارة العشرون»

ـ **كتاب سفر حبقوق:** بشارة واضحة وجلية وهي مشابهة لبشارة «نبوءة» موسى في سفر (التثنية ٣٣/ ٢).

حبقوق إصحاح ٣، فقرة ٣: «**الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات والأرض امتلات من تسبيحه**».

تذكرون البشارة في سفر (التثنية ٣٣/ ٢): «**جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران**».

«**تيمان**» هي أرض تيما ابن إسماعيل، «**القدوس من جبال فاران**» جبال فاران بمكة فأي نبي جاء في مكة بعد حبقوق إلا محمد.

ثم يقول النص «**جلاله غطى السموات**»، أعتقد أن هذه العبارة المقصود بها الله عزَّ وجلَّ. ومعناها جلال الله غطى السماوات بعد أن أشرقت الأرض بنور توحيده، وبعدما بُعث محمد إلى الناس كافة ليتركوا كل الخرافات والخزعبلات وتُرهات الشرك، ويفردوا الرب عزَّ وجلَّ بالتوحيد الخالص.

«**والأرض امتلات من تسبيحه**» يعني إما أن الأرض امتلأت من التسبيح لله عزَّ وجلَّ وذلك لدخول الناس في الإسلام أفواجًا. أو أن يكون هنا

الضمير عائد على رسول الله، وكلا المعنيين صحيح. لأن أفضل وأكمل من عبد الله عزَّ وجلَّ هو محمد، كما قال عن نفسه: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**» (متفق عليه).

«البشارة الحادية والعشرون»

ـ كتاب سفر حِجّي: إصحاح ٢: «**٥ حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم. لا تخافوا. ٦ لأنه هكذا قال رب الجنود. هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. ٧ وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدًا قال رب الجنود. ٨ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود. ٩ مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود**».

بشارة بفضل الله واضحة تمامًا، تعضد ما قبلها من البشارات.

البشارة قطعًا ليست عن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا عن بيت المقدس إطلاقًا. «**مشتهى كل الأمم**» لا تصح لوصف المسيح لأنه لم يرسل إلى الأمم بل أرسل فقط إلى بني إسرائيل.

كذلك النص يتحدث عن مجد بيت معين ومدينة معينة، وعن السلام الذي يكون فيها، وبيت المقدس لم يعرف السلام أبدًا إلا في فترات معينة «لا أريد أن أقول فترات حكم المسلمين بعد فتح عمر بن الخطاب لها، وبعد فتح صلاح الدين الأيوبي لكي لا يتهمني القارئ بالانحياز والتعصب ولكن والله هذه هي الحقيقة، ومن أراد أن يراجع التاريخ فليراجع».

القدس شهدت على مدار التاريخ سلسلة من الصراعات الدامية وخُرِّبَت ودُمرت وسفك فيها كثير من الدماء. إذًا فهذا الوصف لا يناسبها إطلاقًا، كذلك جملة «**مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول**»، فإن كان بيت المقدس هو البيت الأول ـ وهو كذلك فعلًا ـ إذًا فالبيت الأخير بيت آخر غير بيت المقدس.

والآن تعالوا سويًا لنرى ماذا يقول النص: «**ويأتي مشتهى كل الأمم**» هو محمد، لأنه أرسل للناس كافة، النبي الوحيد الذي أرسل إلى كل الأمم. وتقدمت البشارات عنه إرهاصًا وتمهيدًا لقدومه وانتظره كثير من اليهود، وبعض النصارى الذين حاولوا البحث عن الحق وتركوا التثليث والشرك بالله عزَّ وجلَّ.

«**فأملأ هذا البيت مجدًا**» يعني يملأ الكعبة في مكة بالتوحيد وإفراد العبادة لله عزَّ وجلَّ وحده دون غيره، وهذا هو أعظم المجد.

«**قال رب الجنود**» تكررت هذه العبارة كثيرًا في أكثر من سفر، والظاهر والله أعلم أنها إما أن تكون عن الله عزَّ وجلَّ، وأحيانًا يوحي النص أنها تكون عن نبي، وهذا وارد جدًا. لأنه في العهد القديم ورد لفظ رب وإله وأريد به البشر وليس الله. أيما ما كان فهذا لن يؤثر إطلاقًا في البشارة.

«**لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود**». قال رسول الله ﷺ: «**وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» (صحيح مسلم)، والمراد بالأحمر الذهب والأبيض الفضة، كما فسره شراح الحديث، والمراد هنا كنزي كسرى وقيصر، وما استطاعت أي أمة من الأمم القضاء على هاتين المملكتين إلا الأمة الإسلامية،

بفضل الله عزَّ وجلَّ. فإن كان لفظ «**رب الجنود**» المقصود به محمد فالأمر واضحٌ إذًا ومستقيم، وإن كان المقصود به الله، فهذه البشارة أيضًا عن محمد فقط لأنه ما قضى أحد على ملك كسرى وقيصر إلا المسلمون، فضلًا عن أن الله عزَّ وجلَّ لم يحل الغنائم لأي نبي من الأنبياء وأي أمة من الأمم إلا لمحمد وأمته، كما قال رسول الله في الحديث الذي يرويه جابر: «**وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي**» (صحيح البخاري).

«**مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول**» إذا كان الأول بيت المقدس فالأخير أَيُّ بيت يكون؟ ـ وأي بيت في العالم يُعَظَّم أكثر مما يعظم المسلمون الكعبة، إنهم على مدار التاريخ تنافسوا على تعظيمها وتمجيدها. بل حتى قبل البعثة في الجاهلية، كادوا يقتتلون عندما تنازعوا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه بعد إعادة بناء الكعبة، والحجيج والمعتمرون يملئون هذا البيت ليل نهار صيفًا وشتاءًا بفضل الله عزَّ وجلَّ، لا تنقطع أبدًا عنه الزيارة دائمًا ما يعمل حكام المملكة السعودية على توسعته وإعماره، حتى سُمي ملكهم بخادم الحرمين الشريفين (الحرم المكي والحرم المدني) «**وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود**».

في أي مكان كان السلام في القدس أم في مكة؟ أي المدينتين كان فيها حروب أكثر وخراب ودمار وعدوان وسفك وإراقة دماء؟

تعالوا لنستمع سويًا إلى حديث رسول الله عن البلد الحرام «مكة» قال ﷺ في الحديث الذي يرويه عَبْد اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ـ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ـ : «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ**

وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ؛ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا، وَلا يُخْتَلَى خَلاهُ» (متفق عليه).

إذًا المكان الذي أُعطي السلام، وهو سلام أبدي وأَأْمن مكان في العالم أجمع هو مكة. البلد التي ولد فيها محمد ﷺ وبعث.

«البشارة الثانية والعشرون»

بشارة رائعة كان الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى يحفظونها «يفهمونها» جيدًا، وهي تعد وصف دقيق لأمير المؤمنين عمر عندما فتح بيت المقدس.

ـ سفر زكريا الإصحاح التاسع:

«٩ ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان. ١٠ واقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض».

هذه البشارة ابتداءًا لا تصح أن تكون عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. لماذا؟ لعدة وجوه: **أولًا:** «**هو عادل ومنصور**» على زعم النصارى عيسى أبدًا لم يكن منصورًا ألم يستهزئ به اليهود؟، ألم يبصقوا عليه، ألم يلبسوه تاجًا من شوك، ألم يعذبوه، ألم يصلبوه، ألم يقل عيسى صارخًا بصوت مرتفع: «**إيلي إيلي لما شبقتني، أي إلهي إلهي لماذا تركتني**»؟ فكيف يكون منصورًا وقد تركه

الله؟، وكيف يكون منصورًا بعد كل ذلك الشتم والاستهزاء والتعذيب والصلب؟ هذا كله يقوله النصارى. أما نحن المسلمون فنبرأه من كل ذلك ﷺ، وهو موصوف عندنا في القرءان ميلاده وحياته ورفعه إلى السماء بأعظم وأرقى الأوصاف.

ثانيًا: «**وتقطع قوس الحرب**» هل حارب أصلًا عيسى لتقطع قوس الحرب بعد ذلك؟

ثالثًا: «**ويتكلم بالسلام للأمم**» لم يبعث عيسى إلا لبني إسرائيل فقط، فكيف يتكلم للأمم (متى ١٠/٥-٦)، وكذلك عيسى قال عن السلام: «**٣٤ لا تظنوا إني جئت لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. ٣٥ فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها**» (متى ١٠/٣٤-٣٥).

أما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه كان معروفًا بالعدل وهو أول وصف في هذا النص **أولًا:** «**هو عادل ومنصور**».

ثانيًا: «**وراكب على حمار**». قصة دخول عمر بيت المقدس مشهورة جدًا. ولكن للأسف معظم رواياتها ضعيفة، ووردت روايات بأنه كان راكبًا على دابة يتعاقبها هو وخادمه، ووردت رواية أنه كان راكبًا ناقة وحده فالله أعلم بالصحة، ولكن إن كانت رواية الدابة صحيحة فما المانع إذن أن تكون تحقيقًا لهذه البشارة؟ فضلًا عن أن النص فيه تحريف ـ ولاشك ـ لقوله «**وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان**»، فما من جحش إلا هو ابن أتان. فماذا أفادت هذه الجملة؟، كذلك كيف يركب الإنسان على جحش وحمار في آنٍ واحد؟!.

ثالثًا: «ويتكلم بالسلام للأمم» للحديث عن السلام يكفي أننا ديننا هو دين الإسلام، ومن معاني هذه الكلمة السلام، ودخول عمر أمير المؤمنين القدس كان في غاية السلمية دون إراقة دماء أو تدمير ممتلكات أو حرق لأي رمز ديني أبدًا كان فتحًا في منتهى العظمة. عاشت بعده القدس فترة من الزمن هي الأفضل على الإطلاق في ظل تسامح المسلمين العظيم وإعطاء النصارى حرية العبادة (قارن بين هذا الفتح وبين استيلاء الأسبان على الأندلس ومحاكم التفتيش وقتل اليهود والمسلمين هناك).

وتعالوا لتقرأ سويًا كيف وصفت كارين أرمسترونج في كتابيها الماتع (القدس مدينة واحدة وثلاث عقائد) دخول عمر بيت المقدس وتسامحه مع النصارى والبطاركة والأساقفة.

تقول أرمسترونج: «لقد بدأ الإسلام هنا بداية حسنة جدًا. وطلب عمر مشاهدة الأماكن المقدسة واصطحبه البطريرك صفرونيوس إلى كنيسة القيامة ورفض عمر أن يكون هذا المبنى الضخم تخليدًا لموت عيسى. لأن القرءان يبجل المسيح كأحد أعظم الأنبياء وينفي أنه صلب. ويرى المسلمون أنه من المستحيل الاعتقاد أن الله يسمح بموت أحد أبناءه بذلك الأسلوب المخزي. كما أن محمدًا حقق نجاحًا مبهرًا في حياته. خلافًا لعيسى (هذا هو كلامها وهي غير مسلمة، أما عندنا نحن المسلمون فلاشك أن كل الأنبياء عليهم صلوات ربي وتسليماته كانوا في منتهى النجاح في تبليغ رسالة الله «التوحيد» إلى أقوامهم ومحمد إلى الناس كافة، فالنجاح لا يتوقف على عدد الأتباع. لأن هذا ليس بيدي النبي، إنما هو توفيق وهداية من الله، وإنما يتوقف النجاح على تبليغ

الرسالة). نستكمل النص: وطائفتي الدوسيين والمانويين يعتقدون أن الجسد الذي كان على الصليب كان مجرد وهم. وبينما كان عمر يمر بجوار قبر المسيح حان موعد الصلاة فدعاه صفرونيوس للصلاة حيث كان واقفًا فرفض عمر كما رفض الصلاة في كنيسة الشهيد التي بناها قسطنطين وخرج خارجها وصلى. وقال إنه لو صلى داخل الكنيسة لأخذها المسلمون وجعلوها مسجدًا. ثم كتب عمر صكًا يمنع المسلمين من الصلاة عند الكنائس أو بناء المساجد هناك. وحاول البطريرك إيهام عمر أن كنيسة الشهداء وباسليقا صهيون هما مسجد داود. ثم قاد عمر ومرافقيه إلى (جبل المعبد) الذي حوله المسيحيون إلى مقلب قمامة، فزع عمر لرؤية القاذورات التي تحيط بهذا الحرم المقدس والتي وصلت إلى السقف وفاضت من البوابات المتهالكة. لذلك أطلق المسلمون على كنيسة القيامة لقب (القمامة) انتقامًا من سلوك المسيحيين تجاه المعبد (اليهودي). هذا هو رأيها، ولكن الثابت أن الكنيسة فعلًا كانت مليئة بالقاذورات، ولذلك سميت كنيسة القمامة، أما أن ينتقم المسلمون من النصارى لصالح اليهود، فهذا غير مقصود على الإطلاق، لأننا نحب جميع الأنبياء ونؤمن بهم، ولا نزدري العقائد، إنما ندعوا إلى التوحيد ونؤمن بالله وحده ونكفر بما سواه، ونثبت نبوة محمد ونؤمن به وبغيره من الأنبياء والرسل، فهذا هو معنى الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله يعني لا معبود بحق في هذا الكون إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله يعني إثبات الرسالة لمحمد. مع عدم إدعاء أن عيسى هو ابن الله «يعني أن الله لم ينجب عيسى كما ينجب الوالد ولده» ولكن عيسى رسول الله، ونحن جميعًا بما فينا عيسى عبيد لله

عزَّ وجلَّ هو الذي خلقنا. فأي إنسان يشهد بذلك، يقول هذه الجملة مصدقًا بها وموتنا بها بقلبه، ناطقًا بها بلسانه يكون مسلمًا. والله إنه لأمر سهل يسير جدًا لمن يسره الله له.

نستكمل النص: تقول كارين: «وأسرع عمر وطرح القمامة من على الصخرة حاملًا إياها في عباءته وطرحها من أعلى الحائط. فأسرع مرافقوه ونظفوا المكان. وأصبحت مهمة المسلمين إعادة القداسة إلى بقعة دنسها المسيحيون تدنيسًا شنيعًا ثم استدعى عمر كعب الأحبار الخبير اليهودي الذي أسلم وتلى صورتي الكهف والإسراء، وطلب عمر من كعب أن يشير إلى أفضل مكان للصلاة، فانتقى كعب موقعًا شمال الصخرة مفترضًا بالخطأ أنه موقع «قدس الأقداس» فلو صلى المسلمون بحسب قوله لاتجهوا إلى قدس الأقداس اليهودي (قبلة اليهود) ونحو مكة. ورفض عمر وقرر بناء المسجد عند الحافة الجنوبية في موقع (ساحة) رواق هيرود الملكي، وهو موقع المسجد الأقصى الآن. بحيث يتوجه المسلمون إلى مكة وحدها».

هذا جزء مما كتبته كارين أرمسترونج عن فتح عمر والمسلمين لبيت المقدس وتحدثت أيضًا عن استعداد المدينة لهذه اللحظة التاريخية، وكيف ارتدى البطريرك والبيزنطيون الملابس الفخمة لهذه المناسبة، وأنا أقول بل أعظم شيء في الفتح أن أمير المؤمنين ذهب بنفسه خصيصًا ليأخذ مفاتيح هذه المدينة المقدسة.

أليس هذا هو معنى «**ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع**»؟

نعود إلى البشارة مرة أخرى «**ويتكلم بالسلام للأمم**» والله ستتعجبون عندما تقرأون الآن الوثيقة العمرية التي كتبها عمر للنصارى بعد فتح بيت المقدس، وما تعامل فاتح في التاريخ مع بيت المقدس وسكانه كما تعامل عمر.

نص العهدة العمرية: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء «القدس» من الأمان.. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. (نعم أيها المسلمون، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، كان هذا طلب أهل القدس أنفسهم، لأنهم كانوا يكرهون اليهود ـ بشدة ـ وكان اليهود يذبحون أسرى النصارى عند الفرس. حتى إنه في رواية أخرى للمعاهدة (ولو مر بها يهودي، لا يبيت فيها ليله) لأنهم كانوا يعادون اليهود عداءًا حقيقيًا) (ممكن أن يكون هذا من باب درء المفساد والبعد عما يؤدي إلى عنف ومنازعات في تلك الفترة خصوصًا)، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. (كانت الجزية في أحيان كثيرة مقدارها أقل من ٢,٥٪ الزكاة المفروضة على المسلمين، فانظر الآن وقارن بين النظام الإسلامي الرائع الذي فيه رفق ورحمة ولين وفي نفس الوقت مواساة الفقير، وبين نظام الضرائب الباهظة التي تقرضه الحكومات)، وعليهم أن يُخرِجوا منها الروم، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعهم وصُلُبَهْم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصُلُبَّهم حتى يبلغوا أمنهم،

ومن أقام منهم فعليه مثل ما على أهل إيلياء، ومن شاء أن يسير مع الروم، سار مع الروم وهو آمن، ومن شاء أن يرجع إلى أهله، رجع إلى أهله، وهو آمن، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكُتِب وحُضِر سنة خمس عشرة هجرية».

أليس هذا هو السلام بعينه؟

«**وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض**» صعب هنا حصر اتساع رقعة الإسلام وتحديدها مثلًا من المحيط إلى الخليج، لأنها امتدت أكثر من ذلك. أو من نهر النيل جنوبًا إلى أقاصي الأرض شمالًا. وإن كان هذا تفسيرًا محتملًا. إلا أن إتساعها شرقًا وغربًا أعظم بكثير من أن تكون من المحيط إلى الخليج.

وأنا أعتقد أن معنى النص هو إنتشار الإسلام من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي «**من البحر إلى البحر**» ومن منابع النيل في إفريقيا إلى بلاد ما وراء النهر والقوقاز على يد الأحنف بن قيس ومعظم هذه الفتوحات بدأت في عصر العادل الوديع المنصور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذًا فهذه البشارة تنطبق تمامًا عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

«البشارة الثالثة والعشرون»

ـ سفر ملاخي إصحاح ٤:

«٥ هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف. ٦ فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي واضرب الأرض بلعن».

هذه بشارة لطيفةٌ جدًا وقصيرة نختم بها إن شاء الله تعالى بشارات العهد القديم.

«**هأنذا أرسل إليكم إيليا**» إيليا كلمة تعني رجل الله، يعني الرجل الذي يبلغ رسالة الله ـ يعني رسول الله ـ كما في ملوك ثاني (١/٨: ١٢).

ـ ويقول د. ويع أحمد في كتابه (١٣٠ من البشارات): «(**يوم الرب اليوم العظيم**) هو يوم القيامة وليس يوم مجيء المسيح كما يفسر المسيحيون تبعًا لتفسير اليهود. والدكتور وديع كان شماسًا سابقًا وهداه الله للإسلام بعد ذلك.

وفعلًا يوم بعث وإرسال الأنبياء، هو يوم رحمة ونور وليس يوم مخوف، إنما الأهوال تكون يوم القيامة.

«**فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي واضرب الأرض بلعن**».

المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما جاء ليرد قلب الآباء على الأبناء والعكس ـ على حسب نصوص الأناجيل (متى ١٠/ ٣٤-٣٥): «**٣٤ لا تظنوا إني جئت**

لألقي سلامًا على الأرض. ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا. ٣٥ فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. ٣٦ وأعداء الإنسان أهل بيته».

هذا هو الكلام الذي ينسبونه لعيسى «**أعداء الإنسان أهل بيته**». وفي (لوقا ٥٩/٩): «**٥٩ وقال لآخر اتبعني.** (يعني المسيح قال لتلميذ آخر اتبعني) **فقال يا سيد ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي. ٦٠ فقال له يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله**».

ـ أما الإسلام والقرءان والذي بلغ القرءان صلوات ربي وسلامه عليه وعلى كل الأنبياء فقد عظموا صلة الرحم أيما تعظيم.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

تدبر أخي القارئ الكريم، حتى لو خالفنا والدينا في الكفر، لابد أن نصاحبهما في الدنيا معروفًا. فأي رحمة أعظم من هذه؟!.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله، فاستفتيت رسول الله قلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي

وهي راغبة ـ يعني راغبة في أن أصلها ـ أفأصل أمي؟ قال رسول الله: «**نعم صلي أمك**» (متفق عليه).

يعني أن النبي أمر أسماء بصلة الرحم مع أمها حتى وإن كانت مشركة فأي عطف وحنان وتعظيم لصلة الرحم أكثر من هذا؟ إذن فعبارة «**فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم**» تنطبق تمامًا على محمد ﷺ.

بشارات «العهد الجديد»

«البشارة الرابعة والعشرون»

أ- إنجيل مَتَّى إصحاح ٣ فقرة ١، ٢: «**١ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية. ٢ قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات»**».

ب- وفي الإصحاح الرابع من نفس الإنجيل فقرة ١٢، ١٧: «**١٢ ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل». «١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات**».

جـ - كان يسوع يطوف كل الجليل يكرز باقتراب ملكوت السماوات.

د - في الإصحاح السادس من نفس الإنجيل، في بيان الصلاة التي علمها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تلاميذه، قال: «**١٠ ليأت ملكوتك**».

هـ - لما أرسل الحواريين إلى بني إسرائيل قال لهم: «**٦ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. ٧ وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات**» (إنجيل متى إصحاح ١٠ فقرة ٦، ٧).

و - وعندما عين عيسى سبعين من تلاميذه لكي يبشروا بملكوت السماوات، (كما في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر فقرة ١، ٢): «**١ وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضًا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعًا أن يأتي. ٢ فقال لهم إن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده**». قال لهم بعد ذلك (فقرة ٨-١١): «**٨ وأية مدينة دخلتموها**

وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم. ٩ واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله. ١٠ وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا. ١١ حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم. ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله».

ـ نفهم عزيزي القارئ من كل هذه النصوص أن كلًا من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشروا بملكوت السماوات، وهذا يدل على أمرين: أولًا: أن ملكوت السماوات لم يظهر لا في عهد يحيى ولا عيسى ولا الحواريين ولا السبعين تلميذًا.

ثانيًا: أهمية هذا الملكوت جدًا وأهمية التبشير به.

لقد اشتقنا والله! نريد أن نعرف ما هو هذا الملكوت الذي بشر به يحيى وعيسى والحواريون والتلاميذ؟

البعض يقول: «أنه يوم القيامة، وعلماء النصارى يقولون: إن المراد بهذا الملكوت شيوع الملة المسيحية في جميع العالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وذكر د. ويع أحمد «الشماس السابق» أنه سمع من القساوسة أسوأ تفسير لـ «ملكوت السماوات» فقالوا: إنه يعني صلب المسيح، ويكون الصليب هو عرش المسيح الإله! ـ يقول د. وديع ـ : «ولا تعليق إلا قول الله في كتابهم (تثنية ٢١: ٢٢-٢٣): «**٢٢ وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة. ٢٣ فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك**

نصيبًا» أن المصلوب ملعون من الله وينجس الأرض التي يصلب عليها... انتهى كلامه.

تعالى الآن معي عزيزي القارئ نحاول أن نفهم معنى هذه الكلمة أولًا «الإنجيل» كلمة إنجيل اختُلف في شرحها. فقيل أنها تعني ملاك باللغة الإنجليزية angel ـ وهذا صحيح ـ ولكنه ليس أصل الكلمة. بل الكلمة في الأصل كلمة يونانية تعني الخبر السار، أو البشارة المفرحة.

ودائمًا ما كان عيسى يحث الحواريين والتلاميذ على التبشير بملكوت السماوات والعجيب أن مازال الدعاة إلى النصرانية الآن يسمون مبشرين، أما الدعاة إلى التوحيد وإلى الإسلام فيسمون دعاةً. يعني هم يدعون إلى عقيدة معينة، أما من يبشر فإنه يبشر بشيء أو بشخص سيأتي بعده، كما ذكر الله عزَّ وجلَّ في سورة يوسف عندما جاء البشير إلى يعقوب يخبره بحياة يوسف وقُرب لُقِّيه: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ «قميص يوسف» فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ (يُوسُفَ: ٩٦).

فإن قلنا أن البشارة عن صلب المسيح، فقد زعمتم أن المسيح صلب وهذا بالطبع لا يليق إطلاقًا أن أبشر بصلب رسول «أي بشارة في هذا» فضلًا عن من اعتقد أنه ابن الله، فضلًا عن من اعتقد أنه الله ـ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ـ.

وإن كان معنى اقترب ملكوت السماوات يعني اقترب يوم القيامة، أو اقترب نزول عيسى. فهذا المعنى يناقض تمامًا ما قاله عيسى نفسه في إنجيلي متى ولوقا، فبأي رأي آخذ؟ هل برأي عيسى الرسول الذي أمر بنفسه بالتبشير

باقتراب ملكوت السماوات، أم برأي بشر يخطئون ويصيبون، ليسوا أنبياء، بل وتضاربت أيضًا أقوالهم.

أخي الكريم تعالى لننظر ماذا قال عيسى عن ملكوت السماوات:

ـ إنجيل مَتَّى الإصحاح ١٣/٢٤: «٢٤ **قدم لهم مثلاً آخر قائلاً. يشبه ملكوت السموات إنسانًا زرع زرعًا جيدًا في حقله**»، وكذلك في متى نفس الإصحاح ١٣/٣١: «٣١ **قدم لهم مثلاً آخر قائلاً. يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله**»، وكذلك في نفس الإصحاح ١٣/٣٣: «٣٣ **قال لهم مثلاً آخر. يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع**».

تشترك الأمثلة الثلاثة السابقة في أن ملكوت اسماوات يشبه شيئًا ما «خميرة أو حبة خردل» يكون صغيرًا ثم يكبر جدًا ويعطي أثماره، أليس هذا هو الوصف المشترك لجميع الأمثلة الثلاثة؟ بلى.

إذًا فيستحيل أن يكون ملكوت السماوات هو يوم القيامة، لأن يوم القيامة لا يكون صغيرًا وينمو ويكبر بعد ذلك حتى يعطي أثماره؟

ولو فسرناها بنزول المسيح فنفس الأمر، من الذي يرعى هذا النزول ويتعاهده، وكيف يكون النزول صغيرًا ثم يكبر بعد ذلك؟ كيف؟ القياس هنا باطل لاشك. التفسير الوحيد لعلماء النصارى المقبول ـ جدلًا ـ هو انتشار عقيدة المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ونحن نوافقهم في هذا!!، ولكن نخالفهم في كون المسيح دعى إلى التوحيد وهم يدعون إلى التثليث، المسيح دعى إلى إفراد الله عزَّ وجلَّ بالعبودية المطلقة لا شريك له، كما قال في التجربة في لوقا (٤/٥):

«٥ ثم أصعده إبليس إلى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان. ٦ وقال له إبليس لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلي قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد. ٧ فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع. ٨ فأجابه يسوع وقال اذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد». «**للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**» يعني تُفرده بالعبودية لا شريك له، ما ذكر له الآب والابن والروح القدس، والثالوث المقدس، ما ذكر له كرسي الاعتراف وصكوك الغفران، وأن الذنوب والخطايا لا تغفر إلا عن طريق القساوسة والبابوات والقديسين.

وأعظم دليل على أن بني إسرائيل خالفوا تمامًا أوامر عيسى وما جاء به «سواءًا كانوا يهودًا أو نصارى» اليهود لأنهم أنكروا نبوته ـ وحاشاه ـ ورموا أمه بالزنى ـ وحاشاها ـ وعادوه وحاربوه. والنصارى لأنهم عبدوه من دون الله، واتبعوا قديسيسهم ورهبانهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله.

أعظم دليل على أنهم «اليهود والنصارى» خالفوا دين عيسى، هذا النص مَتَّى (٢١/٤٣-٤٤): «٤٣ **لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه**».

إذًا فملكوت الله ينزع منهم بحسب قول عيسى نفسه ويعطى لأمة أخرى. أحب أن أنبه على شيء غاية في الأهمية. من آمن بعيسى كرسول كريم من الله عزَّ وجلَّ وليس إلاهًا وليس ابنًا لله ـ بالمعنى الصريح كما ينجب الوالد ولده ـ وكان قبل بعثة محمد. فهو عندنا مسلم، أما بعد بعثة محمد فلا يسع أي أحد إلا إتباعه لأن الله الذي أرسله هو الذي أمرنا باتباعه، وكذلك أمرنا بالإيمان

بجميع الرسل. فعيسى عندنا أصلًا مسلم، وكذلك الحواريون وكذلك أتباع عيسى الذين اتبعوه على التوحيد قبل بعثة محمد، كلهم مسلمون. فماذا هو إذن ملكوت الله الذي ينزع من بني إسرائيل ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره، وماذا هو ملكوت السماوات.

أليس هو الشريعة؟ أليس هو الاستقامة على الدين؟ أليس هو النبوة؟ ولكن عيسى كان يبشر بشيء. يعني هذا الشيء يأتي بعد عيسى. فما الذي جاء بعد عيسى. أي نبي أتى بعد عيسى؟ لم يأت بعد عيسى إلا محمد.فإن فسرت ملكوت السماوات بالشريعة الخاتمة والدين الخاتم وهي أكمل الشرائع على الإطلاق فهو تفسير حسن جدًا، وإن فسرته بالاستقامة على طريق التوحيد وإفراد الرب بالعبودية فهو معنى شامل والبشارات القادمة إن شاء الله تعالى ستؤكد تمامًا أن ملكوت السماوات معناه ـ والله أعلى وأعلم ـ شريعة محمد أو محمد نفسه وأمته «المسلمين من كل بقاع الأرض».

والعجيب كما قلنا أن كلمة إنجيل نفسها معناها البشارة، كذلك وصف عيسى في قرءاننا بأنه يبشر بمحمد ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصَّفّ: ٦).

ويرى العلامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الهندي في كتابه الرائع «إظهار الحق» أن المراد بهذه الكلمة ملكوت السماوات: طريقة النجاة، ولاشك أن هذا معناه الإسلام والتوحيد كما ذكرنا، كذلك يقول «فالحق أن المراد بهذا الملكوت هي المملكة التي أخبر عنها دانيال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الباب الثاني من كتابه، فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد. والله أعلم ـ وعلمه أتم ـ إنتهى كلامه».

ويقصد بالمملكة هنا رؤيا الملك بختضر التي فيها أن هذه المملكة ستقوض أربعة ممالك والتي سبق شرحها بفضل الله عزَّ وجلَّ (دانيال ٢/ ٣١-٤٥).

وكما نرى أن كل هذه الأقوال متقاربة تمامًا، ولا تتحقق فعلًا إلا ببعثة النبي ﷺ وشريعته.

«البشارة الخامسة والعشرون»

إنجيل مَتَّى إصحاح ١٣ فقرة ٣١، ٣٢: «**٣١ قدم لهم مثلاً آخر قائلاً. يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. ٣٢ وهي أصغر جميع البذور. لكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها**».

ملكوت السماوات هي شريعة محمد. «**أصغر جميع البذور**» يعني أنه آخر الأنبياء يأتي إلى قومه «خاتم الأنبياء»، أو أن أمة محمد كانت أحقر الأمم وأبعدها عن التوحيد وعن العلم، فلما استمسكت بالشريعة وآمنت بالله عزَّ وجلَّ صارت أعظم الأمم، وهذا معنى قوله «**لكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها**» يعني هذا الدين يكون فيه من الرحمة والشمول مايسع الجميع، حتى أنه يسع لغير المسلمين أيضًا العيش في بلاد المسلمين، وفي كنف رحمة الإسلام، كما قال رسول الله: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها من مسيرة كذا وكذا**» (رواه البخاري).

ولا أرى آية في القرءان تنطبق على هذه البشارة أكثر من هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ

سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح : ٢٩). سبحان الله هذا فعلًا هو مثلهم في الإنجيل كما ذكرته هذه البشارة.

«البشارة السادسة والعشرون»

إنجيل مَتَّى إصحاح ٢٠ كله. وهي بشارة مهمة وواضحة:

«١ فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه. ٢ فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ٣ ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قيامًا في السوق بطالين. ٤ فقال لهم اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. ٥ وخرج أيضًا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ٦ ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قيامًا بطالين. فقال لهم لماذا وقفتم هنا كل النهار بطالين. ٧ قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. ٨ فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله. ادع الفعلة واعطهم الأجرة مبتدئًا من الآخرين إلى الأولين. ٩ فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارًا دينارًا. ١٠ فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر. فاخذوا هم أيضًا دينارًا دينارًا. ١١ وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت. ١٢ قائلين. هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. ١٣ فأجاب وقال لواحد منهم. يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار. ١٤ فخذ الذي لك واذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. ١٥ أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بما لي. أم

عينك شريرة لأني أنا صالح. ١٦ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون».

سبحان الله! هذه البشارة توافق تمامًا حديث النبي الذي رواه عبد الله بن عمر عن رسول الله قال: «**مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء، فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى. ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءًا؟ قال هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء**» (رواه البخاري).

فإن قال قائل: في البشارة الكل يأخذ دينارًا واحدًا أما في الحديث فآخر أمة «الأُجراء الآخِرون» تأخذ الأجرة ضعف الذين من قبلها «قيراطين قيراطين». رددنا عليه بأن أوقات العمل متفاوتة ففي البشارة الكل عمل إلى المساء والكل أخذ دينارًا واحدًا. فتساوى الأجر واختلفت المشقة. أما في الحديث فالكل عمل ساعات عمل متساوية تقريبًا «قريبة من بعضها البعض» ـ يعني لم يعمل أحد يومًا كاملًا من أول النهار إلى المساء. بل اليهود إلى منتصف النهار، والنصارى من منتصف النهار حتى العصر، والمسلمون من العصر إلى غروب الشمس. ولكن الأجر تفاوت. فلكل من اليهود والنصارى قيراطًا واحدًا، وللمسلمين قيراطان.

فتشترك البشارة والحديث في تفضيل «الأجير الأخير» الأمة الأخيرة وهذا أيضًا هو معنى قول النبي «نحن الآخرون السابقون» والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

يعني الآخرون في الخلق، الأولون في دخول الجنة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله عزَّ وجلَّ لا يظلم مثقال ذرة.

وفي الأثر الذي يرويه طارق بن شهاب يقول: فلما قرأ موسى الألواح قال ربي إني أجد في الألواح أمة هم آخر الخلق، يدخلون الجنة أول الخلق، رب اجعلهم أمتي. قال «الله» تلك أمة أحمد «محمد».

«البشارة السابعة والعشرون»

إنجيل مَتَّى إصحاح ٢١ فقرة (٤٢-٤٤):

«٤٢ قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. ٤٣ لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنْزَع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره. ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه».

هذه البشارة تكاد تكون أوضح البشارات على الإطلاق. أولًا لفظة الحجر تكررت كثيرًا. جاءت في رؤيا نبوخذنصر التي فسرها دانيال النبي ـ كما شرحنا قبل ذلك ـ وهذا لاشك يعضد المعنى تمامًا ويقويه، كذلك جاءت نفس العبارة في الزبور ١١٨ فقرة ٢٢: «**الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. ٢٣ من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا**».

سبحان الله! نفس النص تمامًا في نص إنجيل مَتَّى: « **وهو عجيب في أعيننا**». والعجب هنا لأن الرسول الخاتم لم يأت من بني إسرائيل نعم. لذلك قال لهم

عيسى: «**إن ملكوت الله يُنْزَع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره**» واضح جدًا أنها أمة أخرى غير بني إسرائيل. فأي أمة إذًا أطاعت الله ووحدته واتبعت أوامره ونواهيه غير أمة محمد؟ لما خالف بنو إسرائيل ما أُمروا به وأعرضوا عن الدين وحرفوه وبدلوه أعطى الله ملكوته أمةً أخرى.

وطبعًا يستحيل أن تُحمل البشارة على عيسى لأن عيسى هو قائلها، فضلًا عن أنه هو نفسه الذي قال أن ملكوت الله سينزع عن أمة ويُعطى أمة أخرى، كذلك لقوله «**ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه**» لأن عيسى نفسه، كما يعرف الكثير من النصارى ذكر في إنجيل يوحنا (٤٧/١٢): «**وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم**» ومعلوم أنه لم يحارب إطلاقًا، لا هو ولا الحواريون، بل ظل مطاردًا من اليهود إلى أن ألقوا القبض عليه.

أما محمد وأتباعه وأمته فقد قضوا على الشرك وأهله، ودانت معظم الأرض بالتوحيد في عصر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم كذلك، قهر المسلمون أعتى إمبراطوريتين في التاريخ فارس والروم. إذًا فوصف «**ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه**» ينطبق تمامًا على محمد وأمته.

وسبحان ربي! هذه البشارة توافق تمامًا ما قاله رسول الله: «**مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنه من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» (رواه البخاري).

«البشارة الثامنة والعشرون»

إنجيل لوقا إصحاح ١٦ فقرة ١٦:

«كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا. ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه إليه».

الناموس يعني شريعة موسى. فكانت الشريعة واحدة ما تغيرت من عهد موسى إلى عيسى بنص قول عيسى: «**لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل**» (متى ٥/١٧)، واللطيف في البشارة أن التبشير بملكوت السماوات بدأ فعلًا منذ يوحنا يعني قبل عيسى قيل بأيام قليلة وقيل بشهور قليلة. المهم أن عيسى نفسه بشر بعد ذلك ثم الحواريون ثم التلاميذ. فمستحيل أن يكون عيسى بشر بنفسه، ولا بمجيئه. ثانيه ـ كما سبق شرحه ـ «إرجع إلى شرح أول بشارات متى ٣/١-٢».

فكانت الأنبياء تسوس بني إسرائيل وأهم شيء عندهم إقامة شرع الله والحكم بالشريعة، إلى أن جاء يوحنا والمسيح فكان همهما الأعظم مع إقامة الشريعة هو التبشير بملكوت السماوات وهي كما شرحنا الشريعة المحمدية والأمة المحمدية.

«البشارة التاسعة والعشرون»

إنجيل يوحنا إصحاح ١ فقرة ١٩-٢٣:

«١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت. ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر إني لست أنا المسيح. ٢١ فسألوه إذًا ماذا. إيليا أنت. فقال لست أنا. النبي أنت. فأجاب لا. ٢٢ فقالوا له من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك. ٢٣ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال إشعياء النبي».

حقيقةً هذا النص يعارضه تمامًا نص آخر في (مَتَّى ١١/١٤-١٥) قول المسيح: **«١٤ وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. ١٥ من له أذنان للسمع فليسمع»**.

وكما يقول الدكتور وديع أحمد فتحي الشماس السابق بالإسكندرية أن بعض النصارى يفسر هذا التضارب على أن يوحنا هو إيليا، كما قال عنه المسيح، إلا أنه تواضع أن يقول عن نفسه كذلك، وكما شرحنا من قبل فإن كلمة إيليا تعني «رجل الله». وبالطبع هذا تأويل فاسد، شديد الفساد والبطلان، وهو يدل على محاولة لي عنق الفقرات وإيجاد أي سبيل للتناقضات الفاضحة في الكتاب المقدس عند النصارى.

لأن يوحنا كيف ينكر نبوته أصلًا؟! وهو مبعوث من عند الله ومأمور بتوصيل رسالة إلى بني إسرائيل. هذا شيء عجيب. ثم إن التواضع لا يكون بالكذب في مقام الإخبار عن الشخصية والهوية أبدًا!

وكعادتنا دائمًا تعالوا سويًا نتنازل في الحوار، ونفترض أنه هو إيليا فإن كان هو إيليا، فقد أنكر يوحنا أيضًا أنه هو النبي عندما سألوه «**النبي أنت**»؟ فأجاب لا.

وهذا هو عين المقصد من تلك البشارة. هذا يدل على شيئين:

أولًا: أن اليهود كانوا يعلمون تمامًا من كثرة البشارات والعلامات في كتبهم عن النبي الذي يبعث في آخر الزمان، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦). وهذا النبي ليس عيسى بدون شك. لأن يوحنا نفسه أقر أنه ليس عيسى «**إني لست أنا المسيح. فسألوه إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لست أنا. النبي أنت. فأجاب لا**». إذًا المسيح غير إيليا غير النبي. هم ثلاثة أشخاص مختلفون.

ثانيًا: وجود لفظة «**النبي**» بالتعريف بالألف واللام. وهي تسمى في اللغة العربية ألف ولام العهد. يعني هو نبي معروف تمامًا ومنتظر لدرجة أنه أصبح يُعَّرف بالألف واللام فقط دون ذكر لأية أوصاف أخرى. فهذا يدل على تواتر الأخبار عن مجيئه وكثرة علاماته، مثل: «خاتم النبوه، أنه أُمي، التمكين له في الأرض .... الخ» فمن النبي الذي أتى بعد يوحنا والمسيح وكانت له بشارات ـ عند اليهود خصوصًا ـ كما لاحظنا أن بشارات العهد القديم أكثر بكثير من بشارات العهد الجديد. من هو هذا النبي إلا محمد. محمد لم يفتر على الله الكذب ولم يخترع القرءان من تلقاء نفسه كما يقول كثير من النصارى واليهود، وما كان لبشر أن يفتري على الله الكذب ويحاربه، ثم ينصره الله عزَّ وجلَّ وينصر دينه ودعوته بهذه الصورة المذهلة رغم كل محاولات الحرب على

الإسلام. فهذا والعياذ بالله يُعَد وصفًا لله عزَّ وجلَّ بعدم الحكمة. سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

«البشارة الثلاثون»

ـ إنجيل يوحنا إصحاح ١٤ فقرة ١٥-١٦:

«١٥ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. ١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

ـ نفس المعنى (يوحنا ١٤/٢٦):

«٢٦ وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب بإسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم».

ـ ونفس المعنى أيضًا (يوحنا ١٦/٧):

«٧ لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم».

في هذه البشارات نلاحظ عدة أشياء مهمة:

١- قبل طبعة ١٩٣٠ كان مكتوبًا في إنجيل يوحنا بدلًا من كلمة المعزي كلمة «**باركليت**» أو «**فارقليط**» ومعروف أن الباء والفاء قريبين جدًا من بعضهما البعض في المخرج، حتى أن الفاء تنطق باء في الإسبانية. وكلمة «**باركليت**» هذه كلمة يونانية. خلاصة الأبحاث فيها أنه إن كان أصلها (بيركلي طوس) يكون معناها قريب من محمد أو أحمد، فتوافق تمامًا الآية السادسة من سورة الصف حكايةً عن عيسى ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصَّفّ: ٦).

ـ وإن كان أصلها (باراكلي طوس) يكون معناها المعزي والمعين والوكيل فلما رأى علماء النصارى أن كثيرًا من علماء المسلمين يفهمون هذه الكلمة على أنها «محمد أو أحمد»، وفي ذلك نص واضح تمامًا على اسم النبي محمد في إنجيل يوحنا، لم يكتفوا بالقطع في تفسيرها بأن معناها المعزي والمعين وليس محمد أو أحمد، بل حذفوا هذه الكلمة «باركليت» وكتبوا بدلًا منها المعزي.

وأنا لا أدي هل نزل عليهم أيضًا الوحي عندما كتبوا ذلك كما نزل على كتاب الأناجيل الأربعة كما يدعون؟، أم أن لأحد أن يغير ما هو موجود في الكتاب المقدس عند النصارى حسب مجريات الأمور؟

أرجو من القارئ أن يتسع صدره لي، فإني ما قصدت أبدًا السخرية ولكن قصدت شدة الإنكار على الجرأة في تحريف وتغيير الكتاب المقدس عند النصارى.

وبالطبع النسخ التي كانت موجودة قبل طبعة ١٩٣٠ موجودة إلى الآن ومن أراد أن يتأكد فليقارن بين ما قبل ١٩٣٠ وبعدها.

ـ ومن باب التنازل في الحوار. كعادتنا دائمًا سنأخذ هذه الكلمة على فهم النصارى، فلتكن المعزي والمعين ـ لا حرج ـ فهو أيضًا محمد، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. ومن باب الأمانة العلمية أيضًا لابد أن أشير هنا أيضًا إلى تفسير د. وديع أحمد فتحي «الشماس السابق» لهذه الكلمة يقول: «ولقد اجتهدت في تفسير كلمة الباراكليت من دراستي السابقة في اللغة القبطية واليونانية القديمة فوجدت أنها تعني (صاحب المبايعة الدائمة). وهو أيضًا محمد، لأن رسالته هي خاتمة الرسالات وستبقى إلى يوم الدين يعني صاحب البيعة الدائمة.

٢- «**إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي**» دليل على عِظم هذا الأمر وخطورته لأن عيسى جعل حبهم له شرطًا احفظ هذه الوصايا، فهذا يدل على مدى أهميتها.

٣- «**وأنا أطلب من الآب** (الله) **فيعطيكم معزيًا آخر** (محمد) **ليمكث معكم إلى الأبد**». يعني رسالته هي الرسالة الخالدة الباقية إلى الأبد.

٤- «**وأما المعزي الروح القدس**». هذه العبارة فيها تحريف لا يستطيع أن ينكره عاقل. وقد حاولت في هذا الكتاب أن أتجنب أية بشارة أصابها تحريف واضح قطعًا للنزاع، ولكن البشارة بالفارقليط أشهر وأعظم من أن أدعها. ونوضح بفضل الله عزَّ وجلَّ التحريف في هذه البشارة.

١- وُصف المعزي في نفس الإنجيل (١٣/١٦) بأنه روح الحق، وهذا غير روح القدس تمامًا.

٢- قول عيسى «**وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر**» فكيف يكون الروح القدس معزيًا آخرًا إن كان هو أصلًا موجودًا معهم قبل ذلك، بل كثيرٌ منهم يعبدونه مع الله وعيسى.

٣- (يوحنا ٧/١٦) «**لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي**» إن كالمعزي هو الروح القدس، فقد أتى في حياة عيسى، أتى إلى زكريا وسمعان وحنة. وعبارة «**إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي**» واضح جدًا فيها أن إتيان المعزي يتوقف على انطلاق عيسى، فكيف وهو كان ينزل مادام عيسى كان موجودًا.

٤- قال عنه المسيح «**فهو يشهد لي**» (يوحنا ٢٦/١٥). والروح القدس أحد الأقانيم الثلاثة، فهو متحد مع الآب والابن ـ كما يزعم النصارى، وما

شهد للمسيح. بخلاف محمد الذي شهد لأجل المسيح وصدقه وبرأه عن إدعاء الألوهية، وقال: «**أنا أولى الناس بابن مريم**»، (متفق عليه). وكذلك برأ مريم من الزنى الذي رماها به اليهود.

٥- (يوحنا ١٦/٨) «**ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية**» الذي فعل ذلك وبكت العالم، وانتبه جيدًا عزيزي القارئ إلى لفظة الذي بُعث إلى الناس كافة ـ كما سبق بيانه مرارًا ـ ، ولئلا يدعي أحد بعد ذلك أن الروح القدس بكت مثلا العلماء أو التلاميذ وكان هذا رمزيًا. إلى آخر هذه الأقوال. اللفظ هنا «**يبكت العالم**» ـ والتي بكت العالم فعلًا على خطيئه ـ بكت اليهود على الافتراء على المسيح وعدم الإيمان به وبمحمد، بكت النصارى على أنهم افتروا على المسيح الكذب ـ وحاشاه ـ وعبدوه من دون الله عزَّ وجلَّ، ولم يؤمنوا بمحمد، حتى المسلمين بكت منهم أي أحد يخالف شرع الله كائنًا من كان حتى الصحابة منهم مثل: «أسامة بن زيد وهو الحِب ابن الحب، خالد بن الوليد» رضى الله عن الصحابة أجمعين.

٦- كذلك قال عيسى عن هذا الروح «**لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به**» (يوحنا ١٦/١٣) وأنا أتساءل يسمع مِنْ مَنْ؟ أليس هو إله في ذاته. هو نفسه إله ـ على زعمكم ـ إذًا فهو يتكلم بما يشاء، بما يريد، أما لفظة «**لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به**»، فلا تصح إطلاقًا على الروح القدس بالكيفية التي يفهمها عامة النصارى.

٧- وُصف «**المعزي**» في نفس الإنجيل (يوحنا ١٦/١٣) بأنه روح الحق، وروح الحق غير روح القدس، كما ورد في رسالة يوحنا الأولى (٤/١): «**١ أيها**

الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. ٢ بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله».

ثم في الفقرة السادسة (نفس الإصحاح): «**٦ نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال**».

إذًا ففي الفقرة الثانية «**بهذا تعرفون روح الله**» توافق تمامًا الفقرة السادسة «**روح الحق**» والعبارتان «**روح الله، روح الحق**» معناهما كما قال العلامة الهندي رَحْمَةُ الله الواعظ الحق، وهذا المعنى يناسب تمامًا محمد، وهو قطعًا ليس الروح القدس «**الأقنوم الثالث**» الذي هو عين الله على زعم النصارى ـ لأنهم كلهم إله واحد ـ الآب والابن والروح القدس إله واحد عند النصارى أليس كذلك؟ ـ فكيف يكون الروح القدس هو المعزي.

«البشارة الحادية والثلاثون»

ـ (يوحنا ١٥/٢٦، ٢٧): «**٢٦ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. ٢٧ وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء**».

تقدم في نفس الإنجيل (يوحنا ١٤/٢٦) أن الذي سيرسل المعزي هو الآب «الله» وليس عيسى. فكيف يقول هنا الذي سأرسله أنا. ومن الذي يرسل الرُسل؟ الله أم الرسل أنفسهم؟

جملة «**فهو يشهد لي**». نعم فقد شهد له رسول الله أنه عبد الله ورسوله، وهو عندنا من أعظم الرسل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأمه صديقة، وهي أفضل امرأة عندنا نحن المسلمين ـ على خلاف هل هي أم فاطمة بنت محمد ـ ولكن لاشك أنها المرأة الوحيدة التي ذكرت اسمًا في القرءان، بل هناك سورة كاملة باسمها، وقد برأها الله عزَّ وجلَّ مما رماها به اليهود من الزنى ـ وحاشاها ـ والنبي يشهد لعيسى بأنه دعا قومه إلى التوحيد وقال اعبدوا الله ربي وربكم، وأنه بريء مما يقولون على الله وعليه. وأي آية في القرءان تتحدث عن عيسى تعتبر شهادة من النبي له.

كذلك عزيزي القارئ. تكرار لفظ روح الحق هنا في هذه البشارات يؤكد هذا المعنى تمامًا.

«البشارة الثانية والثلاثون»

ـ (يوحنا ١٦/١٣): «**١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية**».

هنا تتكرر أيضًا لفظة «**روح الحق**» فهو يرشدكم إلى جميع الحق، توافق هذه العبارة تمامًا ما جاء في نفس الإنجيل (١٤/٢٦): «**فهو يعلمكم كل شيء**»، ولاشك أن توارد وتواتر هذه البشارات بنفس الألفاظ تقريبًا يؤكد المعنى جدًا ويقويه، بل ويبين حرص المسيح على التبشير برسول الله «**يرشدكم إلى جميع الحق**» لما كان الإسلام هو الدين الخاتم، وشريعة محمد هي الشريعة الباقية

المعمول بها إلى آخر الزمان، وكذلك لما كانت رسالته عالمية وليست لأمه أو قوم دون غيرهم. حُق لها أن تكون أكمل الشرائع وأشملها. كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣).

ـ وجملة «**فهو يعلمكم كل شيء**»، فهي تنطبق تمامًا على النبي، كما قال سلمان: «علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة» (رواه مسلم)، (والخراءة هي التخلص من نجاسة البول والغائط).

ـ جملة «**لأنه لا يتكلم من نفسه**» تعني قول المولى عزَّ وجلَّ في القرءان: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم : ٣، ٤). ولأنه ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، فكان يُخبر بما يُوحى إليه. أليس هذا هو معنى «**لأنه لا يتكلم من نفسه**»، بل كل ما يسمع يتكلم به.

ـ وجملة «**ويخبركم بأمور آتية**» توافق تمامًا ما أخبر به النبي عن أمور آتية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر «الفتنة بين فئتين عظيمتين من المسلمين (علي ومعاوية) فتح مصر، فتح المدائن (فارس)، فتح القسطنطينية، تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة» وأمور أخرى كثيرة، فمن أين أتى بكل هذا بأبي وأمي إن لم يكن وحيًا من عند الله عزَّ وجلَّ. أليس هذا هو معنى «**ويخبركم بأمور آتية**»؟ بلى والله.

«البشارة الثالثة والثلاثون»

ـ رسالة يوحنا الأولى (٤/١): «**١ أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. ٢ بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. ٣ وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي والآن هو في العالم**».

كلام في منتهى الوضوح. سبق أن أشرنا أن «**روح الله**» معناها «**روح الحق**» وهنا تتأكد هذه الإشارة. يحذر يوحنا من التصديق والإيمان بأي أحد يدعي النبوة مجرد إدعاءات. لأن هناك أنبياء كذبة «أناس يدعون النبوة» قد خرجوا إلى العالم ـ وهذا حق. وهذا كان بعد المسيح وكذلك بعد محمد فبماذا نعرف الروح الحق «روح الله»؟

يقول يوحنا «**كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله**». وهل قال محمد غير ذلك؟

أنا أتساءل هل أنكر محمد نبوة عيسى؟ هل أنكر معجزاته؟ هل أنكر أنه من أولي العزم من الرسل؟. ألم يجيء محمد بما أتى به عيسى؟ أليس هناك العديد والعديد من الشواهد التي تدل على أن عيسى بشر؟ ألم يقل عيسى نفسه للشيطان «**اذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**» (لوقا ٤/٨). ألم ينم عيسى؟ ألم يتعب؟ ألم يصلي؟ لمن صلى إذن؟، ألم يكن غير عالم هل في التينة ثمر أم لا؟. أليس كل هذا يدل على أنه رسول جاء في الجسد وأنه ليس ربًا؟

العجيب أن النصارى يقولوا عن محمد إنه من الأنبياء الكذبة، وأنا أقول وأكرر للبسطاء الذين حتى لا يقرؤون الكتب، إن كان من الأنبياء الكذبة، فقد وصفتم ربكم بعدم الحكمة، بل بالضعف والهوان.

ما كان لبشر أن يفتري على الله الكذب طيلة هذه المدة، ودينه ينتشر أكثر وأكثر وأكثر بصورة مذهلة كل يوم، رغم الحرب الضروس على الإسلام التي لا تخفى على أحد. فضلًا عن أن يكون هذا النبي أميًا لا يقرأ ولا يكتب. الأمر والله في غاية البساطة وإنه ليسير لمن يسره الله عليه.

يستحيل أن يعذب الله عزَّ وجلَّ أحدًا من خلقه ويجعله خالدًا مخلدًا في النار ـ والنار عندنا فيها عذاب حسي وعذاب روحي ـ وليست رمزًا أو عذابًا حسيًا فقط. الأمر والله جد خطير.

نقول يستحيل أن يعذب الله عزَّ وجلَّ أحدًا من خلقه ويجعله خالدًا في نار جهنم إلا بعد إقامة الحجة عليه. والطفل الصغير يدرك تمامًا أن الإله العظيم الذي خلق هذا الكون يستحيل أن يكون له زوجة أو صاحبة أو ولد. فهذه كلها مظاهر وثنية وشركية انتشرت لإرضاء الأباطرة الرومان. وأصحاب السلطة والنفوذ. بالضبط كما يحدث في كل عصر من علماء السلطة الذين يحاولون إرضاء أصحاب السلطة والنفوذ بأي شكل ولو على حساب الدين.

ولا تقل لي عزيزي القارئ أنه ابن لله، ولكن هذا شيء رمزي! دعني أسألك ماذا يعني شيء رمزي؟ أليس هذا هو صُلب العقيدة عند النصارى. تخيل لو سألتني أنت عن محمد ما هو بالنسبة لكم؟ فقلت لك مثلًا أنه أخ الله. تسألني كيف؟ فأقول لك هو شيء رمزي. ماذا كان شعورك إذًا. قال سبحانه:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون : ٩١).

قال عزَّ وجلَّ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام : ١٠١، ١٠٢).

قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم : ٨٨-٩٥).

«البشارة الرابعة والثلاثون»

ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٩/١١-١٥): «**١١ ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا وبالعدل يحكم ويحارب. ١٢ وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزًا أبيض ونقيًا. ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء**».

١ - سبحانك ربي ما أعظمك! من الذي كان يسمَّى الصادق الأمين، حتى قبل البعثة؟ محمد أم عيسى؟ بل محمد. والرؤيا تقول «**والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا**» هذه بشارة غاية في الوضوح لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال.

٢ - «**وبالعدل يحكم ويحارب**». عيسى لم يحارب قط، والذي حكم بالعدل وحارب وكان بعد يوحنا اللاهوتي هو محمد. وقد سبق بيان عدله في سلمه وحربه.

٣- «**وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو**» كان النبي عندما يخطب كأنه منذر حيث يقول صبحكم ومساكم وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا غضب لله عزَّ وجلَّ ظهر جدًا عليه، وعلى رأسه تيجان كثيرة، ممكن أن تكون كناية عن خضوع القبائل والعشائر في كل جزيرة العرب في حياته ودخولهم الإسلام. له اسم لا يعرفه أحد إلا هو النبي له أسماء كثيرة، وممكن أن يكون له اسم عند الله لا يعرفه أحد إلا هو، وممكن أن يكون معنى اسم هنا أسمائه التي أخبر بها. فالله أعلم. ولكن هذه البشارة لا تصح إلا عن محمد لدلالات (الصادق الأمين ـ يحارب ـ عيناه كلهيب نار).

٤ - «**وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله**» النبي أوذي كثيرًا في سبيل الله، وسال منه الدم في رحلة الطائف عندما رموه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفين بأبي هو وأمي، وكذلك في غزوة أحد عندما كسرت رباعيته ودخلت حلقتان من حلقات المغفر في وجنتيه.

«**ويدعى اسمه كلمة الله**». لا أدي هل هذا مقصود به عيسى عند النصارى! فإن كان ذلك كذلك فإنه لا يصح على الإطلاق لأن عيسى ما كان يدعى الصادق الأمين. بل كان دائمًا ما يقال له «يا معلم». كذلك لأن عيسى لم يحارب قط والبشارة كلها تتحدث عن رجل واحد.

وكلمة الله يمكن حملها على اسم أحمد تحديدًا، كما قال ربنا عزَّ وجلَّ عن عيسى ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصَّفّ: ٦). وأحمد على وزن أفعل تفضيل يعني هو أكثر الناس حمدًا لله عزَّ وجلَّ.

٥- «**والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزًا أبيض ونقيًا**» الأجناد الذين في السماء يعني الملائكة، وقد حاربت الملائكة مع المسلمين ضد المشركين في غزوات عِدة وكانوا لابسين ثيابًا بيضاء. فعن رفاعة بن رافع الزرقي قال: جاء جبريل إلى النبي فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها**» قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» (أخرجه البخاري).

عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد ـ يعني جبريل وميكائيل ـ» (أخرجه مسلم)، وكذلك فإن الملائكة قاتلت مع المؤمنين في غزوتي الخندق وحنين.

«**ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم**». سبحانك ربي ما أعظمك! هل انتشر الإسلام في المدينة المنورة كلها إلا بالقرءان؟ ألم يسمى مصعب بن عمير الذي نشر الإسلام في المدينة كلها بالمقرئ؟

كم من شخص دخل الإسلام بمجرد سماع القرءان. نعم عزيزي القارئ إن السيف الذي يخرج من فم النبي ويضرب به جميع الأمم هو القرءان. كلام الله عزَّ وجلَّ. ويكفينا في ذلك قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣، ٢٤). منتهى التحدي، منتهى الإعجاز. تدبر قول المولى عزَّ وجلَّ ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ أليس هذا السيف أعظم وأشد من أي سيف آخر.

«**وهو سيرعاهم بعصا من حديد**». يعني سيقيم شريعة الله عزَّ وجلَّ فيهم. يقيم الحدود التي عندما عُطلت فسدت الدنيا والله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٦٩). قال رسول الله: «**لأن يقام حد في أرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا**» (مُسْنَد أحمد، حسنه الألباني).

تخيل عزيزي القارئ لو أنك مقيم في بلد كل قوانينه معطلة، الشرطة هناك مجرد زينة، كيف سيكون حاله؟ الجرائم والخراب والدمار والغش. كذلك عندما تعطل الأمة شريعة الله عزَّ وجلَّ فهذا يؤدي إلى خرابها وإلى انتشار الجرائم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما محمد فقد حكم بشرع الله عزَّ وجلَّ وأقام الحدود ولم يخشى في الله لومة لائم.

«**وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء**» هذا استطرادًا للفقرة السابقة «**سيرعاهم بعصا من حديد**» والله إنها لبشارة غاية في اللطف. انتبه أخي القارئ الكريم إلى لفظة «**سيرعاهم**». يعني مآل الحكم بما أنزل الله وإقامة الحدود «**بعصا من حديد**» رعاية المجتمع. فإن النص لم يقل يسوسهم بعصا من حديد أو بضربهم بعصا من حديد. بل يرعاهم بعصا من حديد! وأما الكافر والمنافق والزنديق والذي يأبى إلا الكفر بعد إقامة الحجة عليه فإن النبي يدوسه ويسحقه، ويسقط كل ما يعبد من دون الله وهذا كله بتأييد من الله. لأن الله على كل شيءٍ قدير.

الخاتمة

اعلم أخي القارئ الكريم وفقك الله لكل ما يحب ويرضى. أن هذه البشارات كانت سببًا في إسلام وهداية كثير من الناس. وخصوصًا رجال الكنيسة لأنهم في الغالب هم الذين يقرأون الكتاب المقدس عند النصارى باستمرار ويتدارسونه. وسأنقل لكم كلمات غاية في الأهمية لواحد فقط من هؤلاء الذين كان سبب إسلامهم إحدى البشارات التي ذكرناها في هذا الكتاب ولله الحمد والمنة.

أبو عبد الله الترجمان (إِنسلم تورميدا القس الأسباني السابق) من كتابه «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» والذي كتبه عام ٨٢٣ هـ. منذ حوالي ٦١٢ عام تقريبًا.

يذكر أبو عبد الله الترجمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كيف كان يخدم مدرسه في الكنيسة وكيف كان مطيعًا له، ثم طعن مدرسه في السن، وغاب يومًا عن الدرس، فأخذ طلابه في مذاكرة مسائل العلم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى إنجيل يوحنا (٢٦/١٤) وفحوى الكلام أن يأتي بعد عيسى نبي اسمه البارقليط (اللفظ الذي استبدلوه في طبعة ١٩٣٠ بالمعزي). فحار القوم في ذلك النبي وكل قال بحسب رأيه. فلما عاد إلى شيخه «مدرسه» أخبره بما كان، فقال له الشيخ كل ما ذكرتموه من الأجوبة غير صحيح وأخبره بأن تفسير هذا الاسم لا يعلمه إلا الراسخون في العلم، فألح عليه أبو عبد الله الترجمان «القس السابق» أن يعرفه إياه، فبكى الشيخ وأخبره أنه يخشى عليه من النصارى أن يقتلوه. وأقسم له أبو

عبد الله ألا يبوح بكلمة إلا بإذن الشيخ. فقال الشيخ له: «اعلم يا ولدي أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد وعليه أُنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال «حلم نبوخذنصر الذي سبق شرحه» وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه دين الحق، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل، ثم أخبره الشيخ أن النجاة والخلاص لا تكون إلا بالدخول في الإسلام. وقال له لو أني كنت شابًا مثلك لغادرت البلاد وذهبت إلى بلاد المسلمين، ولكني كبرت وطعنت في السن وترى ما أنا فيه من الحفاوة والكرامة عند هؤلاء. فآمن أبو عبد الله الترجمان وهاجر إلى تونس ومات هذا الشيخ على ملته. سبحان الله!

وهذا عين ما أردت من هذه القصة. إثبات أنه لا يمكن لعاقل عدم الدخول في الإسلام والنجاة بنفسه في الدنيا والآخرة. ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النِّسَاءِ: ١١٦-١٢٠).

لا يمكن لأي عاقل ألا يسلم إلا بسبب المزايا التي سيخسرها (تغيير الحياة ـ خسران الأقارب والأصدقاء ـ في الشرق هنا تعريض النفس للقتل) ولكن

هذا لن ينفعهم لا في الدنيا ولا في الآخرة. ولن ينفعهم أيضًا اعتقاد أن محمدًا رسول، وأن عيسى رسول، والله واحد ثم البقاء على النصرانية لأن عيسى نفسه هو الذي أمر باتباع محمد ـ كما سبق في البشارات.

فإن لم تتبع محمدًا ستكون بذلك خالفت أمر عيسى. لن ينفعهم تساوي جميع الأديان واعتقاد أن كل الطرق تؤدي إلى الجنة، والله لن ينفعهم هذا أبدًا.

أخي القارئ الكريم .. الحق دائمًا واحد لا يتجزأ أبدًا. أنا حاولت في كتابتي للبشارات أن أكون محايدًا تمامًا في نقل الحقائق والبشارات أما الآن فأنا أسألك بصدق: لو أني رأيت أسدًا مفترسًا آتيًا من خلفك، وأنت غير شاعرٍ به. أليس من الواجب عليَّ أن أنبهك، أم أقف على الحياد وتكون حياتك وموتك عندي سواء؟ كيف ترى؟ أليس الخلود في النار أصعب ملايين المرات من افتراس الأسد؟

لن ينفعك اعتقاد أنك ستدخل الحياة الأبدية «ملكوت السماوات» طالما اعترفت بالمسيح ـ على تنوع ـ (إما إلاهًا، وإما ابنًا للإله، وإما ثالث ثلاثة) تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. لن ينفعك شكك الدائم في اليوم الآخر. لن ينفعك أن القساوسة أحلوا لك الحرام وحرموا عليك الحلال واتبعتهم أنت تبعية مطلقة، وهم بشر مثلهم مثلك يصيبون ويخطئون. لن ينفعك أنك صدقتهم فيما قالوه لك آمن بالثالوث إلاهًا واحدًا وإن لم يستطع عقلك أن يفهم ذلك.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

٢٢ محرم ١٤٣٥ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
البشارة الأولى	١٥
البشارة الثانية	٢١
البشارة الثالثة	٢٢
البشارة الرابعة	٢٤
البشارة الخامسة	٢٥
البشارة السادسة	٢٩
البشارة السابعة	٣٧
البشارة الثامنة	٤٥
البشارة التاسعة	٤٨
البشارة العاشرة	٥٣
البشارة الحادية عشر	٦١
البشارة الثانية عشر	٦٦
البشارة الثالثة عشر	٦٩
البشارة الرابعة عشر	٧٤
البشارة الخامسة عشر	٨١
البشارة السادسة عشر	٨٨

الموضوع	الصفحة
البشارة السابعة عشر	٩١
البشارة الثامنة عشر	٩٦
البشارة التاسعة عشر	٩٩
البشارة العشرون	١٠٤
البشارة الحادية والعشرون	١٠٥
البشارة الثانية والعشرون	١٠٨
البشارة الثالثة والعشرون	١١٥
البشارة الرابعة والعشرون	١١٨
البشارة الخامسة والعشرون	١٢٤
البشارة السادسة والعشرون	١٢٥
البشارة السابعة والعشرون	١٢٧
البشارة الثامنة والعشرون	١٢٩
البشارة التاسعة والعشرون	١٣٠
البشارة الثلاثون	١٣٢
البشارة الحادية والثلاثون	١٣٦
البشارة الثانية والثلاثون	١٣٧
البشارة الثالثة والثلاثون	١٣٩
البشارة الرابعة والثلاثون	١٤١
الخاتمة	١٤٥
الفهرس	١٤٩